



The Philosophy and Theology of Artificial Intelligence

Mustafa Azizi

Assistant Professor in the Department of Philosophy and Theology, Al-Mustafa International University, Iran.

E-mail: m.azizi@aldaleel-inst.com

Abstract

One of the prominent topics in scientific discourse today is the philosophy of artificial intelligence (AI). Those with a philosophical mindset, who are accustomed to philosophical reflections, engage in the philosophical contemplations about the roots, principles, epistemic and behavioral implications, challenges, and both positive and negative aspects of any advanced technology they encounter. AI is no exception to this rule, having gained widespread attention across various segments of society, including intellectuals, inventors, university students, and the general public. AI has two fundamental dimensions: The technical dimension focuses either on the computational and algorithmic aspects of AI or on simulating the brain's structure and human neural networks. The cognitive and philosophical dimension explores the philosophical foundations of AI and addresses questions regarding the challenges of AI to religion and the beliefs of religious individuals. Philosophically, AI relies on specific theories in the philosophy of mind, particularly functionalism and behaviorism. The creators of AI have drawn inspiration from these two prominent theories. Understanding these philosophical principles enables us to comprehend the true nature of AI and the tasks it can perform. This study aims to shed light on the general concept of intelligence and, more specifically, artificial intelligence and its various types. It also seeks to analyze the philosophical principles underlying AI and answer questions related to the theology of artificial intelligence.

Keywords: Artificial intelligence, Natural intelligence, Cognitive sciences, Philosophy of mind.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 25, PP. 55-92

Received: 05/06/2024; Accepted: 11/07/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

©the author(s)



فلسفة الذكاء الاصطناعي ولاهوته

مصطفى عزيزي

أستاذ مساعد في قسم الفلسفة والكلام، جامعة المصطفى العالمية، إيران.

البريد الإلكتروني: m.azizi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

من المباحث المهمة المطروحة في الأوساط العلمية مسألة فلسفة الذكاء الاصطناعي. وعندما يشاهد من يمتلك التفكير الفلسفي تقنيةً متطورةً من التقنيات الحديثة لا يلبث حتى يبدأ بالتفكير والتأمل الفلسفي في جذورها ومبادئها وتداعياتها المعرفية والسلوكية وتحدياتها وسلبياتها وإيجابياتها. ولا يستثنى من هذه القاعدة الذكاء الاصطناعي الذي ذاع صيته بين نخب المجتمع ومثقفيه ومخترعيه وطلابه الجامعيين وغيرهم. ولا يخفى أنّ الذكاء الاصطناعي يحظى بجانبين وبعدين أساسيين: أ- الجانب التقني الذي يركّز إماماً على الجوانب الحسابية والخوارزمية للذكاء الاصطناعي، وإماماً على محاكاة البنية الدماغية والشبكات الأعصاب البشرية. ب- الجانب المعرفي والفلسفي للذكاء الاصطناعي والتأمل حول أسسه الفلسفية والإجابة عن التساؤلات المثارة حول تحديات الذكاء الاصطناعي للدين وللإنسان المعتقد بالدين. إنّ الذكاء الاصطناعي في جانبه الفلسفي يعتمد على أسس ونظريات فلسفية خاصة في فلسفة العقل مثل النظرية الوظيفية والنظرية السلوكية، ولقد استوحى الذكاء الاصطناعي من هاتين النظريتين المشهورتين في فلسفة العقل. وتساعدنا معرفة هذه المبادئ الفلسفية على التعرف على حقيقة الذكاء الاصطناعي والمهام التي يقوم بها. نسعى في هذا البحث إلى تسليط الضوء على تعريف الذكاء بشكل عامّ والذكاء الاصطناعي وأقسامه بشكل خاصّ، ثمّ تحليل المبادئ الفلسفية التي يبني عليها الذكاء الاصطناعي، والإجابة عن بعض التساؤلات المرتبطة بلاهوت الذكاء الاصطناعي.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الذكاء الطبيعي، العلوم الإدراكية، فلسفة الذهن.

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 25، ص. 55 - 92

استلام: 2024/06/05، القبول: 2024/07/11

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف



المقدمة

لقد انبهر البشر اليوم بالتطورات الرهيبة للذكاء الاصطناعي والإنتاجات النابعة منه، على سبيل المثال يعدّ الروبوت أحد المجالات التي دخل فيها الذكاء الاصطناعي، وكذلك حفظ ترليونيات من المعلومات والمعطيات وتطوير آليات البحث فيها خلال ثوانٍ بسرعة مذهلة ودقة فائقة، وفهم واستيعاب اللغة الطبيعية الإنسانية (NLP) والإجابة الذكية عليها والتعاطي الذكي معها، التشخيص الطبيّ الدقيق والمضبوط لبعض الأمراض في العيادات والمشافي كتشخيص السرطان، وكذلك استخدام الذكاء الاصطناعي في مجال المساهمة في المباراة العالمية للعبة شطرنج والفوز فيها، والترجمة الفورية من لغة إلى أخرى، واستشارة الحاسوب الذكية، والاستثمار في سوق الأوراق المالية، وكذلك إنتاج سيّارات ذاتية القيادة، وتحويل النصّ إلى الصوت وبالعكس، وإنتاج الأقمار الصناعية الذكية، واختراع طائرات بدون طيار. وكذا استخدام الذكاء الاصطناعي لإنجاز مهامّ متعدّدة مثل التعليم والتعلّم العميق، والبحث العلمي، والعمل في الأماكن الخطرة، واتخاذ القرار في الظروف الخاصّة بنحو أحسن، كلّ هذه نماذج لتطوّر هذه التقنية والدور الذي تلعبها في حياة الإنسان.

ويتوقع أن يغيّر تطوّر الذكاء الاصطناعي كثيرًا من أنماط الحياة البشرية وجوانبها الفردية والاجتماعية، ويغيّر رؤية الإنسان المعاصر وانطباعاته في مجالات التعليم والتربية وشبكة المواصلات والزراعة والطبّ، وكثير من المهن والمشاغل.

الملفت للنظر أنّه يتنبأ بعض رواد الذكاء الاصطناعي بأنّه سيأتي يومٌ يقدرّون على تحميل شخصيتهم على أجزاء أجهزة الحاسوب ويخلّدون أنفسهم عن هذا الطريق، وتعدّ هذه الرؤية رؤيةً ربوتيةً إلى ذكاء الإنسان. [راندل، ذهن و آگاهى، ص 207]

من جهة أخرى لقد أثر الذكاء الاصطناعي والعلوم المرتبطة به على شتى الحقول المعرفية كـ"فلسفة العقل" و"فلسفة العلم" و"فلسفة اللغة" و"فلسفة الأخلاق" و"علم الجمال"، و"الأنطولوجيا" وغيرها من العلوم البشرية تأثيرًا بالغًا.

إنّ هذه التطوّرات الرهيبة والسريعة لتقنية الذكاء الاصطناعي رهينة بتطوّر العلوم الإدراكية (Cognitive Science) وعلوم الأعصاب (neurology)؛ والتقدّم في خوارزميات التعلّم الآلي ممّا يمكن أن يخلق إمكانية توسيع نطاق الذكاء الاصطناعي العامّ.

ويعتمد الذكاء الاصطناعي في أسسه الفلسفية على الرؤية المادية الفيزيائية في فلسفة العقل؛ إذ رفض هذه الرؤية المادية أي بعد روجي مجرد ويحتزله إلى جهاز ميكانيكي محض أو آلة مادية ذكية. يعتقد فرنسيس كريك (Francis Crick) الفائز لجائزة نوبل: «لست أنت ولداتك وآلامك إلا مجموعة من الخلايا العصبية والجزيئات المتعلقة بها؛ والفكرة التي تقول إن للإنسان روحًا مجردًا ومستقلًا عن البدن كلام لغو وباطل، كما أن القول القديم حول وجود قوة الحياة كلام باطل وعبث» [المصدر السابق، ص 195].

يعتقد ريموند كرزويل (Raymond Kurzweil) العبقرى ومخترع الكثير من الابتكارات التقنية المدهشة بأننا نسعى وراء إيجاد عالم لا يختلف فيه الإنسان عن الآلة، وعالم يزول فيه الحد الفاصل بين الإنسانية والتقنية والحاسوب، وعالم تتحد فيه روح الإنسان مع شريحة السليكون. كما يعتقد بأن التقدم المتواصل في مجال التقنيات يوصلنا إلى نقطة تتقدم فيه الحواسيب على عقل الإنسان في مقدار الذاكرة والقدرة على إجراء المعادلات والتحليل، وهذا ناشئ من محاكاة الحاسوب لأعصاب الإنسان والهندسة العكسية لعقله، أي استنساخ عقل إنسان، وطباعة دائرته العصبية في حاسوب عضوي عصبي» [كورزويل، عصر ماشين هاى معنوى، ص 1 و 8].

الملفت للنظر أن للذكاء الاصطناعي بُعدين أساسيين: البعد التقني الذي يهتم به المهندسون وأصحاب التخصص في هندسة الذكاء الاصطناعي، والبعد الفلسفي الذي يتأمل حوله الفلاسفة والمفكرون وعلماء اللاهوت، أما البعد الأول فهو خارج عن مهمة هذا البحث، وله مجاله الخاص، أما ما يهمننا في هذه المقالة هو الجانب الفلسفي للذكاء الاصطناعي. أثار فلاسفة الذكاء الاصطناعي من خلال تأملاتهم تساؤلات عديدة من المنظور العقلي والفلسفي نشير إليها إشارة عابرة لتعرف على سنخ التساؤلات المطروحة في هذا المجال أكثر فأكثر:

- 1- ما معنى الذكاء ومتى يتسم الشيء بأنه ذكي؟
- 2- ما معنى الذكاء الاصطناعي وما أقسامه وأنواعه؟
- 3- ما الفرق بين الذكاء الاصطناعي وبين الذكاء الطبيعي؟ وما الذي يجعل الإنسان فريدًا متميزًا عن الذكاء الاصطناعي؟
- 4- ما الأسس والمبادئ الفلسفية للذكاء الاصطناعي؟
- 5- هل يمكن استنساخ الذهن البشري أو محاكاة الدماغ الإنساني من خلال تصميم ذهن اصطناعي وفقًا للذهن الطبيعي وبالهيكلية والصيغة نفسها؟ بحيث يقوم بالمهام والنشاطات التي يقوم بها الذهن الطبيعي؟

فقد حاولنا أن ندرس هذه التساؤلات الأساسية المتعلقة بفلسفة الذكاء الاصطناعي في ضوء المنهج العقلي التحليلي وقمنا بنقد بعض الأبحاث الفلسفية في هذا المجال.

المبحث الأول: مفردات البحث

أولاً: تعريف الذكاء (Intelligence)

بما أنّ الذكاء الاصطناعي هو نوع من محاكاة ونمذجة الذكاء الطبيعي البشري، فمن المفيد أولاً تحليل معايير ومقاييس الذكاء عند البشر، ومن ثم تطبيقها في الذكاء الاصطناعي؛ وبالتالي فإنّ السؤال الأساسي هو: ما الذكاء لدى الإنسان؟ وما معيار الذكاء فيه؟ وكيف يقاس؟

ليس تعريف مفردة "الذكاء" بأمر هين وسهل، بل حتى الآن لا يوجد تعريف صحيح متفق عليه للذكاء؛ فلذا قد حاول بعض الباحثين في الذكاء الاصطناعي أن يعرفوه من خلال معرفة وظائفه وآثاره المترتبة عليه؛ على سبيل المثال الذكاء، عبارة عن: القدرة على إجراء العمليات المنطقية، والفهم، والتخطيط والبرمجة والحاسبة، والإدراك العاطفي، والوعي الذاتي، والإبداع، وحلّ المشكلات، والتعلّم، والقدرة على التكيف مع البيئة، القدرة على التفكير والتعقل والاستدلال، وإدراك المفاهيم الكلية، انتزاع المفاهيم وتجربتها؛ فكلّ شيء يتمتع بواحد من هذه الآثار والمواصفات، فهو موجود ذكي. ولا يخفى أنّ هذا التعرّف على مفهوم الذكاء مبني على الرؤية الوظيفية التي تركّز على الآثار والوظائف التي يقوم بها الموجود الذكي. [انظر: تگمارک، انسان بودن در عصر هوش مصنوعی، ص 90]

وقد حاول بعضهم توسعة نطاق هذا المعيار العقلي والفكري، ورأى أنّ معيار الذكاء في الإنسان هو مطلق الأنشطة والأفعال الإدراكية، بما في ذلك الإدراك الحسي والخيالي والوهمي والفكري؛ وبالتالي فإنّ أيّ شيء لديه مثل هذه القدرات الإدراكية يعدّ ذكياً.

من جملة المعايير للذكاء البشري السلوكيات والأفعال التي يقوم بها البشر، سواء كانت تلك السلوكيات التي تلعب فيها المعرفة والوعي دوراً أساسياً، وتسمّى الأفعال الإرادية والاختيارية، أو السلوكيات الطبيعية التي ليس للعلم والمعرفة دورٌ في تكوينها، وتسمّى السلوكيات والتصرّفات الطبيعية كالنشاطات الطبيعية والغريزية مثل هضم الطعام ودفعه وما شابه ذلك، بناءً على ذلك يعدّ كلّ جهاز أو آلة قادرة على مثل هذه الإجراءات والسلوكيات ذكياً.

قد ذكر بعض علماء الذكاء الاصطناعي تعريفاً شاملاً لمفهوم الذكاء وهو: «عبارة عن قدرة النيل والوصول إلى الأهداف والمهام المعقدة» [تغمارك، انسان بودن در عصر هوش مصنوعى، ص 90]. ويتضمن هذا التعريف بسبب شموليته جميع التعاريف السابقة للذكاء؛ إذ تندرج فيه المفاهيم المرتبطة بالذكاء كمفهوم الفهم، والوعي الذاتي، وحلّ المسألة والتعلّم، والمحاسبة، والتفكير؛ إذ هي داخله تحت "الأهداف والمهام المعقدة" وما شابه ذلك. ولا يخفى أنّ الذكاء الإنساني يقدر على إنجاز مهامّ معقدة متنوّعة مثل الإبداع والابتكار والتخيّل وغيرها؛ فلذا أخذ في هذا التعريف قيد "المهامّ المعقدة" ليشمل الذكاء بمعناه الراقى والسامى.

يمكن تعريف الذكاء بنحو آخر وهو: كلّ ما نتوقّعه من الموجود الحيّ الأعمّ من التوقّعات المرتبطة بالجانب الإدراكي والمعرفي، ومن التوقّعات المتعلقة بالجانب السلوكي والعملي؛ فبما أنّ للحياة المتضمّنة لمعنى العلم والقدرة درجاتٍ ومراتبٍ متعدّدة، فكذلك الآثار النابعة منها تتمتّع بدرجاتٍ ومراتبٍ مختلفة شدةً وضعفًا، فللذكاء درجات عديدة، فعلى سبيل المثال يختلف ذكاء النبات عن ذكاء الحيوان، وكذلك ذكاء الحيوان يختلف عن ذكاء الإنسان، وكذلك ذكاء الإنسان في حدّ نفسه ذو مراتب ودرجات متعدّدة.

بناءً على هذا التعريف فإنّ للذكاء مصدرًا ومنشأً خاصًا، وإمّا منشؤه النفس كما يعتقد بذلك الفلاسفة المسلمون، وإمّا منشؤه الدماغ والأعصاب كما يعتقد به أتباع المنهج التجريبي الفيزيائي، وإمّا منشؤه جهاز وآلة ميكانيكية تحاكي دماغ الإنسان وذهنه في سلوكياته وإدراكاته. إذن الموجود الذكيّ الذي يتمتّع بالذكاء هو الذي يتصرّف ويعمل ما ينجزه الموجود الحيّ؛ فأعماله بمنزلة عمل من له الإدراك والوعي والقدرة على التحريك.

ولكن يبقى سؤال مهمّ وهو: ما الفرق بين ذكاء الإنسان وذكاء الآلة؟ هل الآلة تتمتّع بنفس الوعي والشعور الذي يمتلكه الإنسان؟ أم هناك ميزات وفروق أساسية بين الذكاء الطبيعي الإنساني وبين الذكاء الاصطناعي؟ وهذا تساؤل مهمّ ينبغي تسليط الضوء عليه بشكل مستقّل في المباحث التالية بالتفصيل.

ثانياً: تعريف الذكاء الاصطناعي

ذكر الباحثون في مجال الذكاء الاصطناعي تعاريف عديدة له، ونستعرض أهمّها فيما يلي:

التعريف الأوّل: الذكاء الاصطناعي (AI) هو قدرة أجهزة الحاسوب الرقمية أو الروبوتات - التي يتمّ التحكم فيها بواسطة الحاسوب - على حلّ المشكلات التي ترتبط عادةً بقدرات

المعالجة الفكرية العليا لدى البشر. [Wolfgang Ertel, Introduction to Artificial Intelligence, p.2]

منذ تطوير الحاسوب الرقمي في أربعينيات القرن العشرين، فقد ثبت أنه يمكن برمجة أجهزة الحاسوب لتنفيذ مهام معقدة للغاية - مثل اكتشاف البراهين للنظريات الرياضية أو لعب الشطرنج - بكفاءة كبيرة. وعلى الرغم من التقدم المستمر في سرعة معالجة الحاسوب وسعة الذاكرة، لا توجد حتى الآن برامج يمكن أن تضاهي المرونة البشرية الكاملة على مجالات أوسع أو في المهام التي تتطلب الكثير من المعرفة اليومية. من ناحية أخرى، حققت بعض البرامج مستويات أداء الخبراء والمهنيين البشريين في أداء مهام محددة معينة، بحيث يوجد الذكاء الاصطناعي بهذا المعنى المحدود في تطبيقات متنوعة مثل التشخيص الطبي، ومحركات البحث بالحاسوب، والتعرف على الصوت أو خط اليد، وروبوتات الدردشة.

لذلك هناك نهجان عامان لتعريف الذكاء الاصطناعي: الأول النهج الواعي والقائم على الإدراك، والذي يحاول تعريف الذكاء الاصطناعي بناء على الإدراك البشري والوعي الذي يتعلق بالقوى الإدراكية للإنسان. والثاني النهج الموجّه نحو السلوك والعمل الذي يحاول تعريف الذكاء الاصطناعي بناءً على محاكاة السلوكيات والأعمال المتعلقة بالإنسان [كاكو، آيندهي ذهن، ص 337]. يبدو أنّ الذكاء الاصطناعي الحديث قد جمع بين هذين النهجين ويحاكي القدرات الإدراكية والقدرات السلوكية والعملية للذكاء البشري.

يعتقد آلان ماثيسون تورنغ (Alan Mathison Turing) وهو أبو علوم الحاسوب النظرية والذكاء الاصطناعي - بأن أفضل معيارٍ لاعتبار آلةٍ ما ذكيّةً هو أن تتمكن تلك الآلة (Machine) من خداع إنسانٍ عبر إحدى وسائل التواصل وتُقنعه بأنه يتعامل مع إنسان مثله.

[Boden, Margaret, The Philosophy of Artificial Intelligency, p.84]

فيستحق الحاسوب أن يسمى ذكيًا إذا كان قادرًا على خداع الإنسان ليصدق أنه إنسان. بعبارة أخرى إذا تعمل الآلة (Machine) نفس الأعمال والوظائف المتوقع صدورهما من الإنسان بحيث تصوّر مستخدم الآلة أن منجز هذا العمل هو إنسان يتمتع بالذكاوة، فهذا دليل على أن ذلك الشيء ذكي. [See: Wolfgang Ertel, Introduction to Artificial Intelligence, p.5.]

ولا يخفى على الخبير أنّ هذا التعريف يركز على "المهام المرتبطة بالموجود الحي" أو "المهام المعقدة" التي يقوم بها الإنسان في حياته. فالذكاء الاصطناعي هو الآلة (Machine) التي تؤدي هذه المهام والوظائف التي يقوم بها الإنسان بذكائه وذهنه وعقله، بل الذكاء الاصطناعي هو دراسة كيفية جعل أجهزة الحاسوب بحيث تقوم بأشياء ومهام أفضل من الإنسان في أسرع وقت ممكن. [Ibid]

ولكن ثمة سؤال يطرح نفسه علينا وهو: هل الذكاء الاصطناعي كما يحاكي ويمثل

الجانب السلوكي والعملي للإنسان، يحاكي أيضًا الجانب النفسي والروحي والداخلي للإنسان؟ بمعنى أنّ هوية الإنسان تمتاز بميزات وسمات خاصّة مثل "الوعي الذاتي" أو الشعور بالذات، أي أنّ الإنسان عندما يفكر يعرف أنّه يفكر وله استشعار ووعي بتفكيره، فهل الذكاء الاصطناعي الذي يقوم بعملية التفكير - إذا ثبت أنّه يفكر - فهل هو يوعي بتفكيره ويعرف أنّه يفكر أم لا؟!

أو أنّ الإنسان يجد في نفسه قدرة الاختيار والانتخاب، وأنّه إذا واجه خياراتٍ عديدةً يستطيع أن يرجّح ويفضّل واحدًا منها عن علم ووعي، فهل يتمتّع الذكاء الاصطناعي بمحصلة الاختيار والانتخاب؟

أو أنّ الإنسان يحظى بمشاعر وأحاسيس وعواطف في نفسه، مثل الشعور بالرأفة والمحبة للآخرين، أو الشعور بالحزن والكآبة في نفسه، أو الشعور بالغضب والنفور للآخرين، فهل يحظى الذكاء الاصطناعي بهذه المشاعر والعواطف حقيقةً؟

الملفت للنظر في هذه الأسئلة هو أنّنا لا نقصد محاكاة الذكاء الاصطناعي لسلوكيات الشخص الغاضب أو الفرحان، بل نقصد الحالات النفسية والروحية التي يتمتّع بها الإنسان في هويته وشخصيته، لا مماثلة السلوكيات والتصرّفات المنبثقة من هذه الحالات. هذه تساؤلات مهمّة تثار حول الذكاء الاصطناعي نترك إجابتها محلّها فيما بعد.

التعريف الثاني: يعرف بعض الباحثين الذكاء الاصطناعي على أنّه «آلة تتصرّف مثل الشخص وتظهر سلوكًا ذكيًا، فالهدف من الذكاء الاصطناعي هو تطوير آلات تتصرّف كما لو كانت ذكيّة». [Ertel, Wolfgang, Introduction to Artificial Intelligence, p.1]

النقطة المهمّة في هذا التعريف بعد التركيز على محاكاة الذكاء الاصطناعي للجانب السلوكي هي تسليط الضوء على مفردة "الذكاء"، ومحاكاة الذكاء الإنساني ومماثلته. ولا يخفى أنّ هذا التعريف وجميع التعاريف المرتكزة على محاكاة الذكاء الاصطناعي للجنة السلوكية الإنسانية تبتني على ما يسمّى "اختبار تورنغ" (Turing Test) المنسوب إلى العالم الرياضى والفيلسوف البريطانى آلان تورنغ (Alan Turing) وهو أوّل من طرح هذا السؤال: "هل تستطيع الآلات التفكير؟" و"هل تستطيع الآلات أن تفعل مثل ما في وسعنا أن نفعله؟ وحاول أن يجيب على هذا السؤال من خلال اختبار المشهور، وسنشير إلى هذا الاختبار في المباحث التالية.

المبحث الثاني: أهمّ الاتجاهات في إنتاج الذكاء الاصطناعي

الملفت للنظر أنّه ثمة اتجاهين ونهجين أساسيين في مجال الذكاء الاصطناعي:

1- الذكاء الاصطناعي الرمزي (Symbolic AI) المبنيّ على الخوارزميات والعمليات الحسابية الرمزية وبنيات التعلّم والاستدلال. هذه الرؤية إلى الذكاء الاصطناعي رؤية تقليدية تركز على الجوانب الحسابية والخوارزمية للذكاء الاصطناعي، وتشبّه العقل البشري بالآلة والنظام الحوسبي. وبهذه الطريقة، فإنّ عمليات العقل هي نفسها معالجة المعلومات تدريجيّاً وخطوةً بخطوة، كما ينجزه جهاز الحاسوب الرقمي. هذا الرأي يسمّى النظرية الحسابية للعقل (computational).

2- الاتصالية أو التشابكية (connectionism) أو الذكاء الاصطناعي المتصل المبنيّ على محاكاة البنية الدماغية وشبكات الأعصاب البشرية. تعدّ الاتصالية إحدى الطرق المستخدمة في مجال الذكاء الاصطناعي، وعلوم الإدراك، والعلوم العصبية، وعلم النفس وفلسفة العقل. الاتصالية تحاول أن تطرح نماذج لظواهر سلوكية وعقلية على أنّها عمليات ناشئة عن شبكات مترابطة عصبية متكوّنة من عناصر بسيطة. بعبارة أخرى إنّ الذكاء الاصطناعي المتصل نهج حديث يستخدم الشبكات العصبية والتعلّم العميق لمعالجة كمّيات كبيرة من البيانات، ويتفوّق في المجالات المعقّدة والصاخبة مثل الرؤية واللغة، ولكنّه يحتاج إلى مساعدة في التفسير والتعميمات. إنّ الشبكات العصبية - المعروفة أيضاً باسم الشبكات العصبية الاصطناعية (ANNs) أو الشبكات العصبية المحاكاة (SNNs) - هي جزء من خوارزميات التعلّم الآلي والتعلّم العميق. ترجع جذور هذا النهج الاتصالي إلى البحوث العصبية الجديدة وتطوّرات علوم الأعصاب.

قام المتخصّصون في مجال الذكاء الاصطناعي بخطة مهمّة، وهي محاكاة الدماغ والذهن البشري من خلال استنساخ السياج الدماغية ومحاكاة البنية الدماغية وتطبيقه في الذكاء الاصطناعي. بناءً على هذه الرؤية إذا استطاع المتخصّصون أن يقوموا بالهندسة العكسية لبنية الدماغ والنظام العصبي للإنسان، ليصنّمو ذكاءً اصطناعياً منبثقاً من الذكاء الطبيعي للإنسان، وسوف يقدرّون على إنتاج إنسان يتمتّع بجميع المواصفات والميزات النفسية والفكرية والعاطفية والإرادية الإنسانية، ويغيّرون عالم الإنسان في جميع المجالات والأصعدة الفردية والاجتماعية. [Crevier, Daniel, AI The Tumultuous History of the search for Artificial Intelligence, p. 102]

ما أنجزه المتخصصون والمعنيون بالذكاء الاصطناعي في ضوء تطورات علم الأعصاب وعلم الدماغ هو اختزال جميع النشاطات الإدراكية والتحركية للإنسان إلى بنية الدماغ وهيكلية وتحديد مواضع معينة لكل نشاط معرفي وتحريكي في دماغ الإنسان.

ومن جملة مظاهر الذكاء الاصطناعي المتصل المتطور هو الذكاء الاصطناعي العصبي الذي يستخدم أجهزة وبرامج ذات شكل عصبي لمحاكاة الأنظمة العصبية البيولوجية؛ بهدف إنشاء نماذج دماغية أكثر كفاءة وواقعية، وتمكين التفاعلات الطبيعية مع البشر والوكلاء. تستوحي وتستلهم الخوارزميات من البنية الدماغية للإنسان.

وأما الشبكات العصبية - المعروفة أيضًا باسم الشبكات العصبية الاصطناعية (ANNs) أو الشبكات العصبية المحاكاة (SNNs) - فهي جزء من خوارزميات التعلم الآلي والتعلم العميق. يسعى الذكاء الاصطناعي إلى نمذجة العمليات التي تخلق الوعي، وبهذه الطريقة يأخذ نموذجًا لكيفية عمل الدماغ البشري والعلاقات المتبادلة بين الخلايا العصبية مع بعضها.

الجدير بالذكر أنّ الفرق الأساسي بين الذكاء الاصطناعي الرمزي والذكاء الاصطناعي الاتصالي التشابكي هو أنّ الذكاء الرمزي يهدف إلى بناء العقل والذهن البشري في النموذج الهجين أو بناء عقل آخر، ولكن يتطلع الذكاء الاصطناعي الاتصالي إلى فهم العقل البشري ونمذجته ومحاكاته بشكل أكثر دقة، هذا يعني أنّه بينما كان الباحثون في الذكاء الاصطناعي الرمزي يتطلعون إلى بناء مخلوق يتمتع بذكاء يتجاوز البشر، كان في المقابل الباحثون في الذكاء الاصطناعي الاتصالي يتطلعون بشكل أساسي إلى إعادة إنشاء الذكاء البشري في أجهزة الحاسوب.

اختبار تورنغ أو اختبار المحاكاة (Turing test)

بنى تورنغ اختبار المشهور على أساس الرؤية الوظيفية وحاول أن يثبت أنّ للآلة (Machine) ذكاءً وعقلًا (Mind)، وذلك من خلال قاعدة عامّة وهي: إذا كان هناك شيان متشابهان للغاية في سلوكهما، ونعتقد بأنّ لدى أحدهما عقلًا، فيجب أن نتقبّل أنّ لدى الآخر عقلًا أيضًا؛ لتجنّب عدم التوازن والتلاؤم.

اختبار تورنغ أو اختبار المحاكاة هو طريقة لتحديد ما إذا كان حاسوب أو برنامج قادر على إظهار الذكاء البشري، ويعود اسم الاختبار إلى مخترعه آلان تورنغ.

يتمّ الاختبار عن طريق 3 أطراف، يُعزل إنسان في طرف وحاسوب رقمي (Digital Computer) في طرف آخر، وكلُّ منهما مخبّان عن بعض لا يرى أحدهما الآخر، وثمة طرف ثالث وهو المراقب إنسانٌ مختبرٌ (الشخص الذي يختبر الطرفين) يمكن له التواصل مع كلِّ واحد منهما، ولكنّ المراقب لا يعرف ولا يميّز أيُّا منهما حاسوب أو إنسان. سوف تهيأ المحادثة عن طريق الكتابة فقط؛ لكي لا تكون عدم قدرة الحاسوب على نطق الكلام عائقًا للاختبار. ينجح الحاسوب في الاختبار إذا لم يستطع المراقب التفريق بينه وبين الإنسان. ولا يشترط أن يجاب الحاسوب إجاباتٍ صحيحةً، ولكن يكفي الأمر بأن يحاكي ما قد يقوله الإنسان. تقول الطريقة (التي سمّاها تورينغ "لعبة المحاكاة") إنّه إذا استطاعت الآلة إقناع بشري آخر بأنّها بشر عبر محادثة نصّية فإنّها تكون قد نجحت بالاختبار.

في عام 2018 أجرى نظام الحجز (Google Duplex) بمساعدة (Google Assistant) مكالمات هاتفية إلى صالون لتصفيف الشعر لتحديد موعد لقصّ الشعر. في هذه الحالة لم يقدّم نظام الذكاء الاصطناعي نفسه على أنّه ذكاء اصطناعي، وخلال المكالمات الهاتفية تظاهر بأنّه إنسان أثناء التحدّث إلى موظف استقبال في الصالون. بعد تبادل قصير، تمّت جدولة قصّة شعر بنجاح؛ إذا تمكن الذكاء الاصطناعي من محاكاة اللغة بنحو مقنع والتواصل مع البشر بفعالية عالية تكفي لإخفاء طبيعتها الآلية.

إذن الآلة المخبوءة خلف الستار أوّلاً تفهم ما يقوله الإنسان لها، ثانيًا تحلّل كلامه وثالثًا تستخدم كلماتٍ وجملاتٍ وتعابير مناسبة للإجابة على سؤاله؛ فإن كان سؤاله مرتبطًا ببحث علمي تجيب إجابةً علميةً، وإن كان سؤاله مرتبطًا بأمر فنيّ أو بمجال خاصّ تجيب الآلة وفق الحقل المعرفي الذي تسألونه عنه. وبالنتيجة تتعاطى الآلة مع الإنسان بحيث لا يقدر على تمييز الآلة من الإنسان، بل قد ينخدع ويتصوّر أنّ الذي أجاب على أسئلته إنسان ذكيّ يتمتّع بمعلومات نافعة؛ لأنّ إجابتها إجابة ذكيّة. كأن الآلة الذكيّة تعدّ مساعدًا اصطناعيًا مدرّبًا (Trained Artificial Assistant)، فكلّ نشاط يعتمد عليه الإنسان في إنجازه على الذكاء، إذا أنجزته الآلة فهي تعدّ من الذكاء الاصطناعي.

من وجهة نظر تورينج، يجري تنفيذ مهامّ العقل عن طريق إدخال البيانات ومعالجتها وإخراجها؛ فيصبح لدينا مدخّلات ومعالجات ومخرجات.

المبحث الثالث: أنواع الذكاء الاصطناعي

أولاً: الذكاء الاصطناعي الضعيف والمتوسط والقوي

هناك ثلاثة أسئلة أساسية حول الذكاء الاصطناعي تحدّد الإجابة عليها ثلاثة مستويات من الذكاء الاصطناعي:

السؤال الأول: هل لدى الآلات وأجهزة الحاسوب إجراءات وأفعال ذكيّة؟ وهل يمكن أن تتصرّف كبشر أذكى؟ يجب على علماء الحاسوب الإجابة على هذا السؤال؛ إذا كانت الإجابة بنعم، ويمكن للآلة أو الحاسوب أداء وظائف ذكيّة، مثل الحساب والمعالجة وحلّ المشكلات وما إلى ذلك، فسيكون هناك مستوى منخفض وضعيف من الذكاء الاصطناعي يسمّى "الذكاء الاصطناعي الضعيف". فالذكاء الاصطناعي الضعيف ليس لديه ضمير وإع، لكنّ نتاجه مطابق لنتاج الإنسان؛ أي تتصرّف وتعمل الآلة بطريقة لا يميّز الإنسان بين التصرف النابع من الذكاء الإنساني وبين السلوك الناشئ من الذكاء الاصطناعي.

السؤال الثاني: هل يمكن لأجهزة الحاسوب والآلات أن تتصرّف بذكاء بالطريقة نفسها التي يتصرّف بها البشر بالذكاء؟ علماء علم النفس المعرفي مسؤولون عن هذا السؤال. إذا ثبت أنّ ذكاء الآلة للحاسوب هو نفسه الذكاء الطبيعي للبشر، سمّي هذا النوع بـ "الذكاء الاصطناعي المتوسط". يسعى هذا المستوى من الذكاء الاصطناعي إلى محاكاة الذكاء الطبيعي البشري ومسح الدماغ ونمذجته.

السؤال الثالث: إذا كان يمكن محاكاة طريقة الذكاء البشري الطبيعي ونمذجته، فهل يعني ذلك أنّ الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون مؤهلاً للخصائص النفسية للبشر؟ الجواب على هذا السؤال متروك للفيلسوف، هل من الممكن تصميم ذكاء اصطناعي، بالإضافة إلى الميزات المذكورة أعلاه، بحيث يكون له خصائص نفسية بشرية مثل الوعي والضمير والإدراك وقوّة الإرادة والعواطف والمشاعر وما إلى ذلك؟ ستؤدّي الإجابة بـ "نعم" على هذا السؤال إلى مستوى أعمق من الذكاء الاصطناعي يسمّى "الذكاء الاصطناعي القوي". يعتقد المؤمنون بالذكاء الاصطناعي القوي أنّ الحاسوب المبرمج جيّدًا هو في الحقيقة عقل، ممّا يعني أنّ أجهزة الحاسوب التي تحتوي على البرامج الصحيحة تفهم ولديها حالات معرفية أخرى.

ثانياً: الذكاء الاصطناعي الضيق والعام

يمكن تقسيم الذكاء الاصطناعي من جهة وحدة المهام التي يقوم بها أو كثرتها إلى قسمين:

1- الذكاء الاصطناعي الضيق (ANI): وهو الذكاء الاصطناعي الذي يتخصص في مجال واحد، فمثلاً هناك أنظمة ذكاء اصطناعي يمكنها التغلب على بطل العالم في لعبة الشطرنج، وهو الشيء الوحيد الذي تفعله.

2- الذكاء الاصطناعي العام (AGI): هل يمكن تحقيق نوع متطور من الذكاء الاصطناعي يمكنه القيام بأكثر من مجرد أداء مهام محددة؟ ماذا لو كان هناك نوع من الذكاء الاصطناعي يمكنه التعلم والتفكير ويتمتع بالأحاسيس والمشاعر مثل الإنسان أو حتى يتجاوز الذكاء البشري؟ يسعى الذكاء العام إلى فهم المعرفة وتعلمها وتطبيقها عبر مجموعة واسعة من المهام، على غرار الإنسان.

يشير هذا النوع إلى حواسيب بمستوى ذكاء الإنسان في جميع المجالات، أي يمكنه تأدية أي مهمة فكرية يمكن للإنسان القيام بها. يتنافى الذكاء الاصطناعي العام مع أنظمة الذكاء الاصطناعي الضيقة المصممة لأداء مهام محددة، مثل التعرف على الصوت أو لعب الشطرنج، والتي تشكل حالياً الجزء الأكبر من تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

بعبارة أخرى هذه الرؤية إلى الذكاء العام الاصطناعي (AGI) شكل افتراضي من الذكاء الاصطناعي لديه القدرة على إنجاز أي مهمة فكرية يستطيع البشر إنجازها. الذكاء الاصطناعي العام يتميز بقدرته على اجتياز مجموعة متنوعة من الاختبارات البشرية بنجاح.

الملفت للنظر أنّ الذكاء الاصطناعي العام هو الذكاء الاصطناعي القويّ نفسه، فإنّ تسميته عامّاً لأجل شموليته للنهوض بالمهامّ والوظائف الإدراكية والتحرّكية التي يقوم به هذا النوع من الذكاء الاصطناعي. وقد سمّي هذا النوع من الذكاء قوياً لأنّ رواد الذكاء الاصطناعي يطمحون إلى إنتاج ذكاء قويّ يماثل الذكاء الإنساني في بنيته الداخلية والحالات العقلية والنفسية التي يتّسم بها الذكاء الإنساني، فالذكاء الاصطناعي العامّ والقويّ اسمان لمسمّى واحد والنسبة بينهما هي التساوي.

اليوم لا توجد نظرية أو حتى فرضيات حول الذكاء الاصطناعي العامّ أو القويّ لما سيحدث؛ لذلك هناك مستقبل غير مؤكّد أمامه، وأولئك الذين يسعون إلى تسويق الذكاء الاصطناعي يبحثون في الغالب عن هذا الذكاء الاصطناعي الضعيف.

يعتقد بعض المتحمسين للذكاء الاصطناعي بأن الذكاء الاصطناعي العام أمر لا مفرّ منه ووشيك وسيؤدّي إلى عصر تقدّم تقني واجتماعي جديد. وبعض آخر أكثر تشكيكاً وحذراً ويحدّرون من المخاطر الأخلاقية والوجودية لإنشاء مثل هذا الكيان القويّ الذي لا يمكن التنبؤ به والسيطرة عليه.

من جملة النماذج المتطوّرة للذكاء الاصطناعي التي تطمح للوصول إلى الذكاء الاصطناعي العامّ ما يسمّى بـ (chat GPT) الذي يقوم بإنشاء نصوص متماسكة ومتنوّعة عبر مواضيع ومهامّ مختلفة؛ إذ يقدر على الإجابة على الأسئلة، وتأليف المقالات، ومحاكاة أساليب الكتابة المختلفة، ويعرض تنوعاً على الرغم من أنّه ضمن حدود معيّنة. يتميّز (chat GPT) بالعديد من القدرات، منها فهم اللغة الطبيعية، بمعنى أنّه يُمكن للروبوت فهم معنى الجمل والعبارات، حتّى تلك التي تُستخدم بشكل غير مباشر. ولا نقصد بـ "الفهم" ما يتّسم به الإنسان من الإدراك والوعي، بل المراد منه أنّ هذه الآلة الميكانيكية تقوم بالوظيفة والمهمّة التي يقوم بها الإنسان الذكيّ عندما يفهم معنى الجمل والعبارات، فعمل الذكاء الاصطناعي هو نوع من النشاط الذكيّ.

وكذلك يقدر (chat GPT) على الردّ على الأسئلة بطريقة مُفصّلة وواضحة، حتّى تلك التي تتطلّب تفكيراً عميقاً، وأيضاً يقدر على تأليف وتركيب بيانات مختلفة، بحيث يُنتج قصصاً ورواياتٍ جديدةً وغيرها من النشاطات.

ثالثاً: دراسة الذكاء الاصطناعي القويّ وتحليله وتقييمه

المشكلة الأساسية في الذكاء الاصطناعي القويّ تكمن في أنّه هل هذا النوع من الذكاء الاصطناعي يعدّ مجرد آلات تُظهر السلوك الذكيّ فحسب، أم هو يمتلك وعياً يمكن مقارنته بالوعي البشريّ؟

بعبارة أخرى: هل يتفوّق الذكاء الاصطناعي على الذكاء الإنسانيّ؟ والجواب عنه هو: أنّ الوعي والتفكير البشري حقيقة معقّدة ذات جوانب عديدة؛ إذ الإدراك البشري عبارة عن نسيج غنيّ من التفكير المنطقي، والذكاء العاطفي، والإبداع، والفهم السياقي وهي العناصر التي يصعب بطبيعتها قياسها كمياً وتكرارها في الآلات. وهذا ما يجعل محاكاة العقل البشري صعبةً للغاية، فهندسة الذكاء الاصطناعي العامّ مغامرة ومهمة صعبة للغاية. الملفت للنظر أنّه لا يتعلّق الأمر فقط ببرمجة الذكاء الاصطناعي لأداء المهامّ المعقّدة؛ بل يتعلّق

الأمر بحقيقة الوعي الإنساني وماهية تفكيره ومعرفته بالحقائق، بحيث لا يمكن تبين وعي الإنسان وجانبه المعرفي من خلال محاكاة ذكائه واستنساخ دماغه. بل من الناحية الأنثربولوجية يتمتع الإنسان بأنواع خاصة من الوعي والإدراك المعرفي المعقّد، وقد تمّ إثبات بعض هذه الأنواع في علم النفس الموازي. ويتضمّن هذا العلم دراسةً علميةً حول الأفعال والقدرات الخارقة للنفس التي تؤثر على الأجسام الفيزيائية دون المساس بها مباشرةً. تتمثل التجارب الباراسايكولوجية في القدرات الفائقة للطبيعة مثل: قدرة الخروج من الجسد، تجارب الاقتراب من الموت، التنويم المغناطيسي أو التنويم الإيحائي، التجارب الخارجة عن الحواس، التخاطر (Telepathy)، المعرفة المسبقة من قبل، التحريك العقلي، الجلاء البصري (remote vision) أو الاستشعار والرؤية عن بُعد، والاستشفاء، وما شابه ذلك. وهذه قدرات فائقة نابعة من البعد المعرفي الإنساني تهتمّ بها الأوساط العلمية وغيرها.

المبحث الرابع: المبادئ الفلسفية للذكاء الاصطناعي

لقد تأثرت تقنية الذكاء الاصطناعي من النظريات المطروحة في فلسفة العقل (philosophy of mind) أشدّ التأثر. فمن لم يتقن المبادئ والنظريات في فلسفة العقل فلا يتمكن من البحث المعمق في مجال الذكاء الاصطناعي، نشير فيما يلي إلى مبدئين أساسيين يعتمد عليهما الذكاء الاصطناعي وهما نظرية "السلوكية" ونظرية "الوظائفية":

أولاً: السلوكية (Behaviorism)

من المبادئ الفلسفية الرئيسة التي بني عليها الذكاء الاصطناعي هي النظرية السلوكية في فلسفة العقل.

تحاول النزعة السلوكية في فلسفة العقل أن تختزل الحالات العقلية إلى السلوكيات والتصرّفات الخارجية البدنية؛ فجميع الأنشطة التي تقوم بها الكائنات الحيّة بما فيها الحركة والتفكير والشعور هي عبارة عن سلوكيات وتصرّفات خاصّة؛ على سبيل المثال أنّ الشعور بالألم ليس حالةً عقليةً ذهنيّةً، بل المراد من الألم هو سلوك الصراخ والتأوه والذهاب إلى الطبيب. فتحذف الرؤية السلوكية جميع الحالات الداخلية الذهنية وتختزلها إلى سلوكيات صرفة. بناءً على الرؤية السلوكية أنّ كلّ مقارنة بين الدماغ الإنساني والآلة يجب أن تستند إلى ملاحظات السلوك؛ لأنّ الوعي والأحاسيس العقلية أو الحالة الداخلية لا يمكن الوصول إليها من قبل الآخرين.

بناءً على نظرية السلوكية أنّ المحادثة حول العواطف والمشاعر والمعتقدات والرغبات وغيرها ليست محادثةً حول الحالات العقلية والصفات الباطنية، ولكنها طريقة مختصرة للحديث عن السلوك الفعلي والمحتمل. تؤكد السلوكية الفلسفية في أقوى أشكالها وأكثرها وضوحاً أنّه يمكن إعادة كتابة كلّ جملة عن حالة ذهنية، دون أن تفقد المعنى، بجملة طويلة ومعقدة تعبّر عن السلوك الذي يمكن ملاحظته، والذي سيظهره الشخص المعنيّ في مواقف مختلفة يمكن ملاحظتها، فالسلوكية تتفق بوضوح مع المفهوم المادي للإنسان. [جرچلند، ماده و آگاهى، ص 47]

بالنتيجة تعتمد تقنية الذكاء الاصطناعي على ركيزتين أساسيتين يساعدنا فهمهما على إدراك الذكاء الاصطناعي ووظائفه وكيفية القيام بالمهام المتعلقة به، وهما: الوظائفية والسلوكية.

تعاني نظرية الوظائفية والسلوكية من إشكالية مشتركة، وهي نفي الحالات العقلية واختزال الحالات والصفات النفسية والعقلية إلى الوظيفة والسلوك؛ بعبارة أخرى كلّ واحد من هاتين النظريتين تفسّر "الألم" بطريقة خاصّة؛ تفسّره الرؤية الوظائفية بأنّها مجموعة من المدخلات والمخرجات والمعالجات الخاصّة. وتفسّر السلوكية حالة الألم بأنّها نوع من الظهور السلوكي، أعني التأوّه والصراخ والذهاب إلى الطبيب. ولكن نحن عندما نجرب الألم في أنفسنا نجد شعوراً مؤلماً في ذاتنا، هناك حالة نفسانية مؤلمة ومؤذية نشعر بها في أنفسنا، وهذا أمر بدهي وجداني لا يتأتّى لأحد أن ينكر هذا الوعي والشعور بالألم في ذاته ونفسه. بينما ترفض النظريتان هذه الحالة النفسية الباطنية وتحتزلها إلى وظيفة أو سلوك معيّن. الإشكالية الأخرى هي أنّ النظرية الوظائفية والسلوكية تفقدان خصلة القصدية (intentionality) وسنشرح هذه الميزة في المبحث الذي نميّز فيه بين الذكاء الاصطناعي والذكاء الطبيعي.

ثانياً: الوظائفية أو المذهب الوظيفي (Functionalism)

ولا يخفى أنّ النزعة الوظائفية أو المذهب الوظيفي في فلسفة العقل هي نظرية لتفسير مشكلة "العقل والجسد" (Mind and body problem) طرحت كبديل لكلّ من نظرية هوية العقل والسلوكية. إنّ الوظائفية تهتم فقط بالدور الوظيفي للحالات العقلية (Mental states)، بالتالي هي قريبة من المدرسة المادية. الوظائفية هي النظرية الأكثر قبولاً للعقل بين الفلاسفة وعلماء النفس المعرفي وباحثي الذكاء الاصطناعي. قدّم هذا الرأي الأساس لعلم النفس المعرفي وأبحاث الذكاء الاصطناعي. [ايزدى، فلسفهى معاصر غرب (فلسفهى ذهن)، ص 276] فتعدّ الوظائفية في فلسفة الذهن موطن ولادة الذكاء الاصطناعي، ويمكن أن تكون محاكاة الذكاء الاصطناعي محاكاةً وظيفيةً بأدقّ معنى للكلمة.

لقد تكوّنت نظرية الوظائفية بعد تكوّن النظرية السلوكية (Behaviorism) في فلسفة العقل. بناءً على نظرية السلوكية أنّ الحالات العقلية (Mental states) تُحوّل إلى أداء سلوكيات وتصرفات خاصّة؛ على سبيل المثال الاعتقاد بنزول المطر بمعنى منحيّ ونمط خاصّ من السلوك، وهو ارتداء ملابس شتوية حارّة وأخذ المظلة عند الذهاب تحت المطر. فالرؤية السلوكية تختزل الحالات العقلية إلى سلوكيات وتصرفات وأعمال خاصّة وتنفي أيّ حالة عقلية في الإنسان رأسًا.

ولكن بناءً على النظرية الوظائفية فإنّ الحالات العقلية ليست إلّا وظيفة ودورًا يلعبه جهازٌ أو آلة خاصّة؛ كالغسّالة فإنّ في جهاز الغسل ثلاثة أمور:

1- دخول الملابس الوسخة في الجهاز (input). 2- عملية الغسل وتطهير الملابس من الأوساخ والأقذار. 3- خروج الملابس النظيفة من الغسّالة، فمجموعة الدخول والتغسيل والخروج تعدّ "الوظيفة" (Functionality).

فكذلك الحالات العقلية تختزل إلى الوظيفة بمعنى أنّ هناك مُدخّلاتٍ حسّيةً ومن ثمّ نوع من العملية على هذا المدخّل الحسّي، ثمّ المخرجات السلوكية؛ على سبيل المثال "الألم" ليس إلّا مجموعة إصابة الرجل بشيءٍ حادّ وجارح مثلاً، ومن ثمّ حدوث بعض الحالات في العقل، ومن ثمّ المخرَج السلوكي المتمثّل بالصراخ والتأوّه. إذن الوظيفة (Function) تتكوّن من ثلاثة مكوّنات أساسية:

1- المدخّلات الحسّية. 2- نوع من المعالجة والتعمّل والنشاط الخاصّ. 3- المخرجات السلوكية.

[See: An Introduction to the Philosophy of Mind, K. T MASLIN, p. 121]

بناءً على الرؤية الوظائفية كلّ جهاز أو آلة حاسوبية تقدر على إنجاز هذه الوظيفة وتأدية هذا الدور ذكيّة مثل الإنسان. فبما أنّ الحواسيب هي أجهزة مادّية بموادّ تفاعلية إلكترونية تؤدّي الحسابات على المدخّلات وتعطي المخرجات، فالأدمغة هي أجهزة مادّية بركيزة عصبية تؤدّي الحسابات على المدخّلات، ممّا ينتج السلوكيات. إذن يمكن للماكنة المبنية على السيليكون أن تمتلك نوعًا ما من الحياة الذهنية التي يملكها الكائن البشري، بشرط إدراك هيكلها للأدوار الوظيفية المناسبة.

بناءً على الرؤية الوظائفية ليست هناك حالات عقلية (Mental states)، بل ثمة وظائف وأدوار تصدر من الإنسان يمكن لكلّ جهاز أو آلة ميكانيكية أن تصدر منها نفس هذه الوظائف والآثار والأدوار. فهناك محاكاة للوظائف العقلية الصادرة من الإنسان، بمعنى أنّ الروبوتات أو الحواسيب تحاكي بعض السلوكيات الإنسانية مثل التعليم والتكلّم والتشخيص

والتمييز والإجابة على السؤال، أو إثارة التساؤلات، وما شابه ذلك. فما يقوم به الروبوت أو الحاسوب ليس إلا نمذجة ومحاكاة وظائف الدماغ البشري، مثل الإدراك والعاطفة، فلا يتمتع الحاسوب بالعقل والذهن (mind) والذكاء حقيقةً. إذن يقدر الذكاء الاصطناعي على محاكاة الخبرة البشرية عبر مجالات متنوّعة.

المبحث الخامس:

الفروق والميزات بين الذكاء الاصطناعي والذكاء الطبيعي

بعد التطرّق إلى مفهوم الذكاء ومعنى الذكاء الاصطناعي ينبغي في هذا المجال أن نقوم بتحليل الفروق الجوهرية التي تميّز الذكاء الاصطناعي عن الذكاء الطبيعي بما يلي:

أولاً: الوعي الذاتي واكتشاف الذات

ولا يخفى أنّ الذكاء الطبيعي في بعض مستوياته العليا ومراتبه السامية يتميّز بخاصية الوعي الذاتي وعدم إهمال الذات والغفلة عن الذات. يصرّح الفلاسفة خاصّة ابن سينا أنّ النفس الناطقة الإنسانية عندما تعقل شيئاً تعقل أنّها تعقله وتعلم أنّها تعلم ذلك الشيء؛ فهناك علمان: علم النفس بالكتاب مثلاً، وعلم ثانٍ هو علم النفس والتفاتها إلى أنّها تعلم الكتاب، وهذا يسمّى "العلم بالعلم"؛ ولذا يقول الخواجه نصير الدين الطوسي في شرح كلام ابن سينا: «إنّ كلّ شيء يعقل شيئاً فله أن يعقل بالفعل متى شاء أنّ ذاته عاقلة لذلك الشيء؛ وذلك لأنّ تعقله لذلك الشيء هو حصول ذلك الشيء له وتعقله لكون ذاته عاقلة لذلك الشيء هو حصول ذلك الحصول له» [الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات، ج 2، ص 382]. ولا يخفى أنّ وعي الإنسان بوعيه والتفاته بعلمه ومدركاته من الأمور البديهية والوجدانية التي لا تحتاج إلى الدليل والبرهان، بل من يراجع نفسه يجد أنه يعلم شيئاً خاصّاً، وفي الوقت نفسه يعلم بأنّه يعلمه. ولكن رغم ذلك يحاول ابن سينا أن يبيّن هذا المطلب ببيان يسمّى "الإنسان المعلق في الفضاء".

ومن أجل إثبات هذا الوعي الذاتي والعلم الحضوري بالذات يصوّر ابن سينا حالة افتراضية تسمّى "الإنسان معلق في الفضاء" ويعتقد أنّه إذا افترضنا أنّ الإنسان خلق فجأةً وبشكل إنسان كامل في بداية خلقته، بحيث لا يحتاج إلى النموّ والاكتمال، وقد سُدت مجاري إدراكاته بحيث لا يسمع ولا يبصر ولا يلمس ولا يشم ولا يذوق، فلا يقدر أن يأخذ المعلومات والبيانات من الخارج، وأيضاً يكون في حالة تكون أعضائه جوارحه منفرجةً منفصلةً بعضها عن بعض، بحيث لا يلامس بعضها بعضاً، وكذلك يكون هذا الإنسان بهذه المواصفات

معلّقًا في فضاء فارغ من الهواء، فإنّه في هذه الظروف لا يقدر على إدراك أيّ شيء إلاّ إدراك ذاته ونفسه، ويصرّح ابن سينا - وهو المبدع لهذه الحجّة في تاريخ الفلسفة - قائلاً:

«يجب أن يتوهم الواحد منّا كأنّه خلُق دفعةً وخلُق كاملاً، لكنّه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات، وخلُق يهوي في هواء أو خلاء هويّاً لا يصدمه فيه قوام الهواء صدمًا ما يحوج إلى أن يحسّ، وفرّق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماسّ، ثمّ يتأمّل أنّه هل يثبت وجود ذاته، ولا يشكّ في إثباته لذاته موجودًا ولا يثبت مع ذلك طرفًا من أعضائه ولا باطنًا من أحشائه ولا قلبًا ولا دماغًا ولا شيئًا من الأشياء من خارج، بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولًا ولا عرضًا ولا عمقًا، ولو أنّه أمكنه في تلك الحالة أن يتخيّل يدًا أو عضوًا آخر لم يتخيّله جزءًا من ذاته ولا شرطًا في ذاته، وأنت تعلم أنّ المثبت غير الذي لم يثبت، والمقرّبه غير الذي لم يقربه، فإذن للذات التي أثبت وجودها خاصية على أنّها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التي لم تثبت، فإذن المثبت له سبيل إلى أن يتنبّه على وجود النفس شيئًا غير الجسم بل غير جسم، وأنّه عارف به مستشعر له، وإن كان ذاهلاً عنه يحتاج إلى أن يقرع عصاه» [ابن سينا، الشفاء (الطبيعات)، ج 2، ص 13].

هذا في حين أنّ الاتجاه السائد على الذكاء الاصطناعي هو الاتجاه الوضعي (positivism) والفيزيائي الذي يفسّر الإنسان تفسيرًا ميكانيكيًا ماديًا محضًا؛ ويدعم هذا الادّعاء ما قام به آلن تورينغ من اختباره التاريخي، وما يعتمد عليه الذكاء الاصطناعي من الرؤية الوظيفية والسلوكية. بناءً على الرؤية المادية إلى الإنسان، فإنّ جميع الأنشطة الإدراكية والحركية البشرية تنبع من بنيتة الدماغية وشبكته العصبية المعقدة؛ ولذلك فإنّ النهج السائد في الذكاء الاصطناعي ينكر بشدّة وجود جوهر مجرد غير ماديّ يسمّى "الروح" أو "النفس". بعبارة أخرى إنّ العلم الحضوري ملازم للتجرّد، والآلة التي تفقد التجرّد تفقد العلم الحضوري بذاتها. إذن الحديث عن الذكاء الاصطناعي المتمتّع بالوعي والشعور بالذات موضع شكّ من قبل العديد من الباحثين في مجال الذكاء. [Michael, AI vs Humans, p.121]

ثانيًا: القصدية (intentionality)

من خصائص الحالات العقلية أو الذكاء الطبيعي وجود صفة "الانتباه" أو "الإشارة إلى"؛ فالقصدية تعني خاصية "أن يكون المفهوم ناظرًا إلى شيء ما"، أو القصدية هي التوجّه والاتّفات إلى شيء ما أو حالة ما، وإن لم تكن موجودةً في الخارج، كالخوف من وجود الغول، بينما لا وجود له في الخارج. [سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 22 و 25]

إذن الحالات القصدية ذات مضمون قصدي وتمتلك اتجاهاً للمطابقة. يطلق الفلاسفة مصطلح "القصد" على أحد أوصاف الذهن، الذي بواسطته يمكن للذهن التوجّه والالتفات إلى الأشياء أو الأوضاع المحيطة به والموضوعات المرتبطة بها أو الأمور الناشئة عنها. وتشمل هذه الحالات الاعتقادات والرغبات، والمقاصد والإدراكات، والحبّ والبغض، والخوف والآمال وما شابه ذلك. فإنّ الحيثية القصدية هي عبارة عن خصوصية في الذهن تفسّر حالات ذهنية تتعلّق بشيء ما، مثلاً الاعتقاد أو الأمل يجب أن يكون اعتقاداً وأملاً بشيء خاصّ، فلا يمكن لهذه الأمور أن تكون من دون متعلّق. على سبيل المثال يقول القرآن الكريم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: 165]، ولا يخفى أن مفهوم "الحبّ" و"الإيمان" من المفاهيم القصدية التي تتعلّق بشيء وراءه؛ لأنّ الحبّ من المفاهيم الإضافية التي يحتاج إلى المتعلّق والمحبوب، وكذلك الإيمان يتعلّق بشيء ورأيه فالمفهومان يقصدان شيئاً في الخارج يتعلّقان به. فهذه المفاهيم التي تلتفت وتتوجّه وتنتبه إلى شيء وراء ذاته فهي مفاهيم قصدية، فالسؤال المطروح هنا هل الذكاء الاصطناعي يتمتّع بميزة القصدية والتوجّه نحو شيء أم لا؟

ولا يخفى أنّ الذكاء الاصطناعي وبشكل عامّ آلة تفقد خصلة القصدية والالتفات والتوجّه نحو شيء خاصّ بخلاف الظواهر النفسية والروحية والفكرية التي تتمتّع بخصوصية القصدية.

[Searl, Mind a brief introduction, p. 83]

والسبب في عدم امتلاك الذكاء الاصطناعي خصلة القصدية يكمن في فقدانه لميزة الوعي والتعبير عن الواقع والمحكي؛ إذ لا يخفى أنّ الحالات العقلية والكيفيات الذهنية من سنخ الوعي والإدراك تعبر عمّا وراءها من الحقائق، ولكنّ الذكاء الاصطناعي يفقد ميزة الوعي والإدراك.

والجدير بالذكر أنّ ابن سينا يصرّح بذكائه بهذه الميزة التي يميّز بها الذكاء الطبيعي عن الذكاء الاصطناعي، وأعني القصدية:

«العلم هيئة موجودة في النفس معتبراً معها الإضافة إلى أمر من خارج، وهو المعلوم. فالعلم أمرٌ من خارج، كالبياض في الجسم، إلّا أنه يخالف البياض، فإنّ الأبيض لا يصير بالبياض مضافاً إلى شيء من خارج، وهو المعلوم» [ابن سينا، التعليقات، ص 226].

ثالثاً: خصلة الإبداع (creativity)

يعتقد الفلاسفة بأنّ هناك ميزةً أخرى للذكاء الطبيعي غير موجودة في الذكاء الاصطناعي وهي الإبداع، وهذه الخصلة هي من مميّزات الذكاء الطبيعي عند الإنسان التي يفتقدها

الذكاء الحيواني؛ إذ إنّ الحيوان يمشي وفق غريزته الطبيعية، ويتجلى هذا النشاط والإبداع في المجالات الثلاثة: الخيال والوهم والتفكير. يتمتع الجانب الخيالي للذكاء الطبيعي بقدرة هائلة على الجمع والربط بين الأشكال والبيانات الحسّية، بحيث يمكن الاستشهاد بالتصاميم والرسوم التوضيحية والاكتشافات المتميّزة في مجال الصناعة والتقنية وحتى الفرضيات العلمية والتجريبية في هذا المجال الخيالي. [ابن سينا، نفس الشفاء، ص 236 و253]

يبدع الذكاء الاصطناعي من خلال القدرة على التركيب والدمج شيئاً جديداً غير موجود سابقاً، كما يفعله الانسان عندما يرّكب ويغيّر الصورة الخيالية. وبعبارة أخرى ما يتحقّق في الذكاء الاصطناعي هو تحويل المفاهيم والوعي والحالات العقلية والنفسية إلى مجموعة من القضايا والرموز الشكلية والسلوكيات الخاصّة، وتفريغ هذه المفاهيم من البُعد المضموني والمعرفي، وذلك من خلال تحويل البيانات والمعطيات إلى رموز وخوارزميات، استناداً إلى النظرة الفيزيائية للذكاء الاصطناعي، فإنّ العلم والإدراك لهما حقيقة ماديّة تماماً يتمّ تحليلها بواسطة العمليات الدماغية والعصبية، ومن هنا الاعتقاد بكون العلم والإدراك حقيقةً غير ماديّة ومجرّدة مرفوض تماماً في الرؤية الفيزيائية التي يعتمد عليها الذكاء الاصطناعي. السبب في عدم كون الذكاء الاصطناعي مبدعاً خلاقاً كالإنسان هو فقدته لخصلة التفكير والتعقل، لا يخفى أنّ التفكير والتعقل بالمعنى الذي يمتلكه الإنسان ميزة فريدة يتمتع بها الإنسان فحسب، وهي السبب الرئيسي في عملية الإبداع.

رابعاً: تركيبة مختلطة

لا بدّ من القول إنّ هناك نوعين من المزج والتركيب: أحدهما هو أنّ المكوّنات والعناصر المجتمعة يتمّ تجميعها بجوار بعضها فقط؛ دون التأثير على بعضها بعضاً ودون أيّ تفاعل بينها وخلق شيء جديد.

الثاني: ثمة نوع أقوى من المزج والتركيب والخلط بين شيئين، وهو المزج بنحو التفاعل والتأثير المتبادل بينهما، بحيث يتألّف شيء جديد سوى المكوّنات، والفرق الأساسي بين هذين النوعين من التركيبات هو وجود تفاعل وتأثير وتأثر عميق بين الأجزاء والعناصر المكوّنة، فمن خلال هذا النوع من المزج والتركيب يتحوّل الموجود بالقوّة إلى الموجود بالفعل. وأرجع ابن سينا النوع الأول من الخلط والامتزاج إلى الكيان الصناعي، وأرجع النوع الثاني من الخلط إلى الكيان الطبيعي: «إنّ الطبيعة تقدر على الامتزاج الذي على سبيل الاستحالة، والصناعة لا تقدر عليه، بل تقدر على الجمع» [المصدر السابق، ص159]. ومراد الشيخ من "على سبيل الاستحالة" هو أنّ

هذا التركيب ليس على سبيل الجمع والتجميع بين الأمور المتناثرة والمتفرقة بحيث يجمع بعضها بجانب بعض بدون أي تفاعل بينهما، بل المقصود من كلامه هو نوع من التفاعل الشديد بين الأجزاء والعناصر، بحيث يتكوّن مصنوع ومخلوق جديد إثر ذلك. هذا النوع من المزج والتركيب نشأه في الموجودات الطبيعية غير الصناعية، كما يحدث في مزج الطعام في المعدة مثلاً. يؤكّد ابن سينا كذلك أنّ المخلوق الطبيعي يمكنه تنعيم الخليط وتلطيفه وإزالة خشونة وسمك العناصر مجتمعةً، في حين أنّ الكائن الاصطناعي لا يمكنه مزج الشيء وتخليطه وتركيبه بهذا المستوى من اللطافة والخلط المتميّز؛ لذا يقول ابن سينا: «والطبيعة تقدر على تلطيف المزج الذي على سبيل الخلط وتصغير الأجزاء، والصناعة تعجز عن ذلك الاستقصاء» [المصدر السابق]. بمعنى أنّ الموجود الصناعي لا يقدر على الوصول إلى قمة المزج والتخليط ونهايته، بل ما تقوم به الآلة من عملية المزج والخلط بين العناصر والأجزاء ناقص وضعيف ولا يبلغ إلى مستوى الموجود الطبيعي في المزج.

الفرق الثالث الذي يميّز به ابن سينا بين الطبيعي والاصطناعي هو أنّ أفعال الكائن الطبيعي لا حصر لها من حيث القوة والفعلية، وبينما يتمتع الكائن الصناعي بقوة وطاقته محدودة ولا يمكنه تحويل العديد من الأشياء بالقوة إلى الفعلية والكمال: «والطبيعة لا تتناهى مذاهبها في القسمة والنسبة قوةً وفعالاً، والصناعة لا يمكن أن تُخرج جميع ما في الضمير منها إلى الفعل» [المصدر السابق].

تجدر الإشارة إلى أنّ ابن سينا منذ حوالي ألف عام، عندما لم يظهر الذكاء الاصطناعي والتقدّم التقني والصناعي، أحصى هذه الفروق الأساسية الثلاثة بين الكائنات الطبيعية والاصطناعية. في المقابل، يعتمد الذكاء الاصطناعي على أمرين: الحساب والخوارزمية في الرياضيات، ويمكن القول إنّ ثلاثة عوامل رئيسة تساعدنا في تفسير طبيعة الذكاء الاصطناعي:

1- المعالجات والبنى التحتية للمعالجة. 2- أنماط البرمجة. 3- البيانات والبيانات الضخمة: أدى التقدّم الكبير في هذه المجالات الثلاثة إلى ظاهرة مفاجئة تسمى "الذكاء الاصطناعي".

ولذلك يعتمد الذكاء الاصطناعي على البيانات، وتتميّز معالجته وتكوينه عن الذكاء الطبيعي.

خامساً: التركيز على نشاط معيّن

ومن خصائص الذكاء الاصطناعي التي يمتاز بها عن الذكاء الطبيعي هو أنّه إذا انخرط الذكاء الطبيعي في فعل ونشاط محدّد وركّز عليه، فإنّه يمنع من القيام بأشياء أخرى في

الوقت نفسه؛ لأنّ الطاقات والقدرات التي تتمتع بها النفس الإنسانية محدودة وقاصرة عن استيعاب جميع الجوانب الإدراكية والتحريرية؛ فلذا يرى ابن سينا أنّ قوى النفس مثل القوى الغذائية والنامية والمولدة وكذلك الحواس الخمس وقوة الخيال والواهمة كلّها خادمة للنفس، والنفس تخطط وتدبر تلك القوى؛ ولذلك يمنع انشغال النفس ببعض القوى من الانشغال بقوى أخرى، أي أنّ النفس لم تعد قادرة على السيطرة على تلك القوى المهمة وإرشادها إلى الصواب؛ ولذلك فإنّ النفوس الضعيفة والعادية هي التي إذا انغمست في نفسها واشتغلت بالأمر الداخلي مثل التفكير توقفت عن التعامل مع الأمور الخارجية والظاهرية المتمثلة بالإدراكات الحسية، وعلى العكس من ذلك، إذا انغمست في المحسوسات وانغمرت فيها انشغلت عن التوغل في الأمور الداخلية كالتفكير والتعقل. بمعنى آخر إنّ لجوهر النفس البشرية مهمتين ونشاطين رئيسيين:

الأول: مهمة واحدة بالنسبة إلى جسده، وهي تدبير الجسد وإدارته.

والثاني: مهمة واحدة بالنسبة إلى جوهره ومبادئه، وهي العقل والإدراك الفكري. وهاتان المهمتان تتعارضان مع بعضهما ويعيق كل منهما الآخر؛ فإذا اشتغلت النفس بأحد هذين الفعلين انصرفت عن الآخر وتوقفت؛ ولذلك الجمع بين هذين الفعلين للنفس - أي التعامل مع الجسد والعقل، وهو مهمة النفس الناطقة الخاصة - أمر صعب وشاق، وينبغي استكشاف سر هذا الأمر في حقيقة أنّ النفوس المحدودة لا يمكنها الجمع بين الأنشطة البدنية والعقلية. فهناك من يتمتع بنفوس قوية كاملة تقدر على الجمع بين نشاطات عديدة، فتستوعب هذه النفوس القوية عدّة أعمال في وقت واحد، كمن يقدر على الإدراك الحسي والتعقل في وقت واحد، ولكن هذه النفوس القوية نادرة في كلّ عصر ومصر.

فلذا يقول ابن سينا في مجال تركيز النفس وتكريسها على شيء خاص:

«إنّ اشتغال النفس ببعض هذه (القوى) يصرّفها عن إعانة القوى الأخرى على فعلها أو عن ضبطها عن زيغها أو عن حملها على الصواب، فإنّ من شأن النفس إذا اشتغلت بالأمور الباطنة أن تغفل عن استثبات الأمور الخارجة؛ فلا تستثبت المحسوسات حقّها من الاستثبات، وإذا اشتغلت بالأمور الخارجة أن تغفل عن استعمال القوى الباطنة، فإنّها إذا كانت تامّة الإصغاء إلى المحسوسات الخارجة ففي وقت ما تكون منصرفةً إلى ذلك يضعف تخيلها وتذكرها، وإذا انصبّت إلى أفعال القوة الشهوانية انكسرت منها أفعال القوة الغضبية، وإذا انصبّت إلى أفعال القوة الغضبية انكسرت منها أفعال القوة الشهوانية، وبالجملة إذا

انصبّت إلى استكمال الأفعال الحركية ضعفت الأفعال الإدراكية، وبالعكس» [ابن سينا، الشفاء (الطبيعات)، ج 2، ص152]. ولا يخفى أنّ المعوقات والموانع البدنية التي تمنع النفس والروح عن نشاطاتها الخاصّة بها عبارة عن: الإدراك الحسي، والخيال، والشهوة، والغضب، والخوف، والحزن، والفرح، والألم. [ابن سينا، النجاة من الغرق، ص365]

وهذا بخلاف الذكاء الاصطناعي الذي يفقد هذه الميزة وهي عدم القدرة على الجمع بين نشاطات عديدة؛ فإنّه يستطيع القيام بعدة إجراءات مختلفة في الوقت نفسه؛ فيأذن يمكن للذكاء الاصطناعي القيام بعدة مهامّ في وقت واحد.

بعبارة أخرى إنّ هذه النقيصة للنفس الإنسانية وهي "أنّ يمنع الانشغال بنشاط خاص الإنسان من سائر النشاطات" نابعة من خصلة الوعي الإنساني؛ إذ الوعي والشعور الإنساني من جهة محدود، ومن جهة أخرى تنبثق هذه النقيصة من تعدّدية الأبعاد الوجودية للإنسان، وأنّه موجود معقّد مؤلّف من حيثيات وجهات عديدة. وبالنتيجة إذا توجّه وعي الإنسان وشعوره بشيء خاصّ ورکز عليه فهو لا يقدر في الوقت نفسه على أن ينشغل بشيء آخر، ولكنّ الذكاء الاصطناعي بما هو نوع من المحاكاة لنشاطات ذهن الإنسان وتقليد سلوكياته، فيتأتّى له أن يُنجز أعمالاً وسلوكياتٍ كثيرةً في وقت واحد.

سادساً: تمتّع الذكاء الطبيعي بالقوّة النزوعية الشوقية

هناك فرق آخر بين الذكاء الاصطناعي والذكاء الطبيعي، والذي أُكّد في علم النفس الفلسفي، وهو السمة الخاصة للذكاء الطبيعي وهي "القوة النزوعية الشوقية". وتنقسم قوى النفسانية الحيوانية إلى قوى إدراكية وقوى تحريكية محفّزة؛ تنقسم القوى التحفيزية الحيوانية إلى نوعين: "الباعثة" و"الفاعلة". والقوّة الباعثة التي وظيفتها الإثارة والتحفيز والتشجيع، تسمّى أيضاً "النزوعية الشوقية"، وهي تعدّ مصدر العاطفة والكرهية والأحاسيس والمشاعر في الإنسان. وقد عرف ابن سينا قوّة الرغبة انطلاقاً من أصلها المعرفي ودعمها المعرفي، وهي مبنية على أنّه إذا تخيل الإنسان صورةً إمّا مرغوبةً محبوباً أو منفورةً ومكروهةً، فإنّ القوّة الشوقية الباعثة تبدأ في إثارة القوّة الفاعلة، وتدفعها نحو إنجاز العمل المرغوب فيه أو ترك العمل المنفور منه. وللقوّة الباعثة الشوقية فرعان: الغضب والشهوة. يقول ابن سينا في هذا المجال:

«وللنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان: محرّكة ومدركة؛ والمحرّكة على قسمين: إمّا محرّكة بأنّها باعثة على الحركة، وإمّا محرّكة بأنّها فاعلة. والمحرّكة على أنّها باعثة هي القوّة

الزوعية الشوقية، وهي القوّة التي إذا ارتسمت في التخيل صورة مطلوبة أو مهروب عنها بعثت القوّة المحرّكة الأخرى (الفاعلة) على التحريك، ولها شعبتان: شعبة تسمى قوّة شهوانية وهي قوّة تبعث على تحريك تقرب به من الأشياء المتخيّلة ضرورية أو نافعة طلباً للذة. وشعبة تسمى غضبية، وهي قوّة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيّل ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة. وأمّا القوّة المحرّكة على أنّها فاعلة فهي قوّة تنبعث في الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشجّع العضلات فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ وترخيها أو تمدّها طولاً، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة المبدأ» [ابن سينا، الشفاء (الطبيعات)، ج 2، ص 33].

سابعاً: الاتّصاف بالفضائل والردائل الأخلاقية

من الخصائص المهمّة للذكاء الطبيعي الاتّصاف بالفضائل والردائل النفسية، مثل العدل والإنصاف والصدق واللطف، أو عكسها مثل الحسد والكبر والحرص. ويرى ابن سينا أنّ هذه الصفات النفسية الفاضلة رهينة بسيادة العقل وسيطرته على قوى الشهوة والغضب لدى الإنسان، أو على العكس من ذلك أنّ الصفات الرذيلة منبثقة من سيادة الشهوة والغضب على العقل. إنّ القوى الحيوانية الغريزية أعني الشهوة والغضب تحاول دائماً السيطرة على قوّة العقل العملي لتجعلها خاضعة لها. ولكن لكي يحصل الإنسان على الفضائل الروحية والأخلاق الحميدة، ينبغي له أن يفضّل ويتبع أوامر العقل العملي المستمدّة من أوامر العقل النظري. [ابن سينا، الشفاء (الطبيعات)، ج 2، ص 38]

هذا على الرغم من أنّ الذكاء الاصطناعي يفتقد الخصائص النفسية والأخلاق الحميدة أو الذميمة. نعم، من الممكن أن يتصرّف مثل سلوك الأشخاص الطيّبين وذوي الأخلاق الحميدة ويحاكي أفعالهم من دون شعور ووعي، ولكنّ الأخلاق بمعنى الصفات والملكات الراسخة في النفس لا يمكن إسنادها إلى الذكاء الاصطناعي. [كاكو، آيندهى ذهن، ص 319]

ثامناً: قوّة التذكير والتذكر

ومن الخصائص الأخرى التي يمكن أن نميّز بها الذكاء الطبيعي عن الذكاء الاصطناعي خاصيّة التذكّر واسترجاع المفاهيم التي أُهملت ونُسيت. [ابن سينا، الشفاء (الطبيعات)، ج 2، ص 151] عادةً تتمّ عملية استرجاع المفاهيم وتذكّرها من خلال تداعي المعاني، على سبيل المثال إذا نسي الإنسان الأمور المعنوية والروحية وكان ناسياً لله تعالى، فإذا رأى عالماً ربّانياً تذكّر الله عزّ وجلّ وذكره في السرّ والعلانية؛ كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: قالت

الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ تُدَكِّرُكُمْ اللَّهُ رُؤْيَيْتُهُ، وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَيُرْعَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 95].

ولكن يفقد الذكاء الاصطناعي هذه الميزة الفريدة للنفس الإنسانية؛ إذ التذكّر واسترجاع المفاهيم متفرّع على وعيها وإدراكها، ومن ثمّ الرجوع إلى خزانة المفاهيم والذاكرة والبحث والتفتيش فيها، ومن ثمّ الانتقال من بعض المفاهيم المعهودة المعروفة لدى الذهن إلى مفاهيم أخرى. ولكن هل يجتاز الذكاء الاصطناعي هذه المراحل ويتذكّر أم لا؟ هل له القدرة على التذكّر واسترجاع المفاهيم المنسيّة أم لا؟ كما ذكرنا مراراً وتكراراً أنّ الذكاء الاصطناعي يحاكي بعض السلوكيات والتصرّفات الذكيّة الإنسانية فحسب، ولكن لا يتمتّع بما يتمتّع به الذكاء الطبيعي من الوعي والتذكّر والتفكّر والتعجب وما شابه ذلك.

تاسعاً: إمكانية المسؤولية القانونية في الذكاء الاصطناعي

في ضوء الاختلافات المثارة بين الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري من حيث المسؤولية القانونية، يمكن التحقق من إمكانية تحقيق المسؤولية فيما يلي:

أ- الذكاء الاصطناعي والمسؤولية القانونية في الوضع الراهن

إنّ ما يعدّ ذكاءً اصطناعياً في مجال تقدّم المعرفة الإنسانية - مثل جيل الذكاء الاصطناعي المتطورّ اليوم - لا يمكنه أن يتّصف بالمواصفات العشر للذكاء الطبيعي التي مرّ ذكرها فيما سبق؛ لذا ليس هذا الذكاء الاصطناعي صاحب إرادة ومسؤولية قانونية بالمعنى الكامل للقانون، يعتمد علماء القانون في هذا المجال على نظرية الذرائعية القانونية⁽¹⁾ (Theory of legal instrumentalism) تجاه الذكاء الاصطناعي.

ب- مستقبل الذكاء الاصطناعي والمسؤولية القانونية

فإذا كان الذكاء الاصطناعي يوماً قادراً على أن يتّسم بالمواصفات والميزات التسع السابقة - ومن الصعب الاتّسام بها - وإذا جوّزنا إمكانية الإرادة القانونية له، فيمكن التكلّم عن إمكانية ممارسة المسؤولية القانونية للذكاء الاصطناعي.

على سبيل المثال إذا سرق الروبوت أو الذكاء الاصطناعي أموالاً أو سلعاً من شخص آخر،

1- الذرائعية أو الأداة مذهب مثالي ذاتي للفيلسوف الأمريكي جون ديوي وأتباعه، وهو نوع من النفعية، وملخصه أنّ المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة

فهل توجّه المسؤولية القانونية والمتابعة القانونية إلى الذكاء الاصطناعي، أو إلى مستخدمه، أو إلى صانعه ومبدعه ومصمّمه؟ هذه أسئلة مهمّة تطرح في مجال القانون ينبغي الإجابة عليها من الناحية القانونية والفقهية.

بعد التطرّق إلى الميزات الأساسية للذكاء الاصطناعي والطبيعي يأتي دور المسائل والمشكلات المتعلقة بلاهوت الذكاء الاصطناعي ونستعرضها فيما يلي:

المبحث السادس: إلهيات الذكاء الاصطناعي

ثمّة تساؤلات مهمّة مرتبطة بالذكاء الاصطناعي تثار من المنطلق اللاهوتي وتحدّي الرؤية الكونية التوحيدية وبعض المعتقدات الدينية ينبغي الإشارة إليها:

أولاً: الذكاء الاصطناعي أشرف المخلوقات!

من الأسئلة المتعلقة بلاهوت الذكاء الاصطناعي السؤال التالي: هل الإنسان هو "أشرف المخلوقات وأكرمها" أو الموجود الذي يضاهي ذكاه الذكاء الإنساني بل قد يفوقه؟ هل الإنسان بوحده هو أشرف المخلوقات أم هناك موجود أقوى وأكمل منه هو أشرف المخلوقات وهو خليفة الله في الأرض وهو الذكاء الاصطناعي؟

الجدير بالذكر أنّه يتطلّع بعض الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي إلى إمكانية أن يحقق التطور التقني تقدّمًا حقيقيًا في تعديل الجنس البشري عن طريق الشرائح الذكيّة المدججة بالعقل البشري؛ لكي يصبح الإنسان خارقًا بالفعل. بمعنى دمج البشر والتقنية معًا بعناية، ما يضمن أنّ كليهما يعملان بشكل وثيق؛ ما يمهد الطريق لظهور نسخ معدّلة تقنيًا من البشر، تلك النسخ الهجينة التي تندمج فيها التقنية بالأعضاء الحيوية للإنسان فتصبح مكوّنًا رئيسيًا من الجسد البشري، يختلط فيه اللحم بالسيليكون، والعقل بالأسلاك، والإدراك بحالة شحن البطارية، فيظهر لندنا جيل جديد من البشر يستطيع أن يتذكّر أدقّ التفاصيل، ويعمل أطول فترة ممكنة دون كلل أو ملل.

ثمّة بعض المنبهرين بتطور العلوم التجريبية - خاصّة العلوم الإدراكية وعلم الأعصاب - يرون أنّ الذكاء الاصطناعي سيكون أذكى وأظن من الإنسان بحدّ كبير؛ فالذكاء الاصطناعي هو أشرف المخلوقات وأكرمها وأحسنها وأفضلها؛ إذ إنّ ميزان الأفضلية والأشرفية هو الذكاء والقيام بالنشاطات المنبعثة من الذكاء، فيما أنّ الذكاء الاصطناعي سيتطور إلى حدّ يتغلب فيه

على الإنسان ويفوقه في ذكائه وسلوكياته فهو أشرف المخلوقات! وهذه النقطة تُعدّ تحديًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 70]؛ وكذلك تحديًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: 30].

يصرّح أحد الفلاسفة الغربيين بهذه النقطة قائلاً: «إنّ التطوّر هو عملية عمرها مليون عام أدّت حتمًا إلى ظهور أشرف المخلوقات، أي الذكاء البشري. إنّ ظهور شكل جديد من الذكاء على الأرض في أوائل القرن الواحد والعشرين، والذي يمكن أن يضاهي الذكاء البشري ويتجاوزه في النهاية بشكل كبير، هو تحوّل أكبر من كلّ الأحداث العظيمة في تاريخ البشرية.

ولا يخفى أنّ هذه الرؤية إلى الذكاء الاصطناعي وإلى الإنسان رؤية مادّية فيزيائية بحتة؛ إذ ترى أنّه لا فرق بين الإنسان وبين الآلة؛ فالهام المعقّدة التي يقوم بها الإنسان ويُنجزها يقدر عليها الذكاء الاصطناعي بنحو أسرع وأقوى وأدقّ، فلا داعي لتفضيل الإنسان على جميع المخلوقات، بل صنعت مخلوقات حديثة تحيّر العقول وتفعل ما يفعله الإنسان بأرقى شكل ممكن.

الملفت أنّ النظرية المنافسة للذكاء الإنساني تدّعي أنّ الأفضل من الإنسان هو الذكاء الاصطناعي العام أو الذكاء الاصطناعي القوي (Strong artificial intelligence) الذي يسعى إلى محاكاة جميع القابليات والطاقات الكامنة في الإنسان، بل يحاول أن يتجاوزها.

نقول في الجواب على هذه الإشكالية: أوّلًا أنّ الذكاء الاصطناعي وليد الذكاء الإنساني، فمن أوجد وأبدع الذكاء الاصطناعي فهو أجدر أن يكون أشرف المخلوقات وأفضلها.

من جهة أخرى ينبغي الإجابة على تساؤل مهمّ وهو: ما معيار الأشرافية وميزان الأفضلية؟ هل سرعة المحاسبة ودقّتها تعدّ معيارًا ومقياسًا للأفضلية والأشرافية؟! هل محاكاة المهام السلوكية والإدراكية التي يقوم بها الإنسان هو معيار الأكرمية والأشرافية؟! لا يخفى أنّ معيار الأشرافية هو الروح الإلهي والنفس الإنسانية بما لها من الطاقات

والقدرات الرهيبة المتمثلة في الوعي والإدراك والمعرفة الخاصّة بالإنسان وكذلك السلوكيات والتصرفات النابعة من الإرادة الإنسانية، وهذه القدرات الفائقة هي التي تجعل الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: 31]، فمقام تعلم الأسماء

الإلهية وتعليمها للملائكة يعدّ ميزةً فريدةً للإنسان يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات ويجعلها أفضل المخلوقات وأشرفها.

ثانياً: ضعف الاعتماد على العقول في عصر الذكاء الاصطناعي

يعتمد الناس في عصر الذكاء الاصطناعي على عقولهم بشكل ضعيف؛ فكثير من المهامّ توكل إلى الذكاء الاصطناعي. فإذا ضعفت العقول بسبب قلّة استخدامها فما الآثار والتداعيات السلبية التي يتركها ذلك على الدين؟ هل يؤدي ضعف عقول الناس إلى ابتعادهم عن الدين أم لا؟ أليس ابتعاد شريحة من المجتمع عن الدين نابغاً من ابتعادهم عن التعقّل والتفكير؟ بعبارة أخرى يعتمد الدين على العقل "ليثيروا لهم دفائن العقول"، فكلمّا قوي العقل قوي التدين وبالعكس. وبالتبع ينبغي تحديد أطر خاصّة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في حياتنا الفردية.

ما ينبغي أن نأخذه بنظر الاعتبار في عصر الذكاء الاصطناعي هو كيفية استخدامنا للذكاء الاصطناعي ونوعية توظيفنا وتعاطينا له؛ فقد يقوّي الاستخدام الصحيح للذكاء الاصطناعي العقول والأفهام وينميها؛ لأنّ هذا الاستخدام يكون استخداماً فعّالاً منضبطاً، وقد يؤثّر الاستخدام الخاطيء والمنفعل للذكاء الاصطناعي سلبيّاً على العقل البشري ويدمره. فننمية العقل أو تضعيفه رهينٌ بكيفية استخدام الذكاء الاصطناعي أوّلاً وبالبيانات التي نعطيها له وكيفية تعاملنا وتعاطينا بهذه التقنية المتطوّرة.

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي عرقلة أمام الرقيّ الروحي والكمال النفسي

لا يخفى أنّ الناس سيعتمدون على الذكاء الاصطناعي في حياتهم الفردية والأسرية والاجتماعية أشدّ الاعتماد، ويستخدمونها لإنجاز مهامهم البسيطة والمعقدة؛ بحيث يُدمنون على استخدامه في كثير من المجالات، وبالنتيجة يشعرون بنقص وخلل عند فقدانه. فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ألا يتحوّل الناس إلى موجودات مستسلمة مقهورة تحت هيمنة الذكاء الاصطناعي؟ فإذا أدمن الإنسان على استخدام الذكاء الاصطناعي وأصبح أسيراً له ومغرّياً به، فهل يعرقل ذلك تكامله وورقيّه الروحي أم لا؟ ألا يمنع التوغّل في استخدام الذكاء الاصطناعي من تفعيل القدرات النفسية وتطوير الطاقات الكامنة الروحية والعقلية في الإنسان؟ فلكي لا نقع في هذه الورطة يجب وضع أطر وحدود خاصّة ينبغي عدم تجاوزها ليصل الإنسان إلى كماله المنشود.

يمكن حلّ هذه الإشكالية من خلال إصلاح النوايا والأغراض التي نستخدم الذكاء الاصطناعي لأجل تحقيقها؛ قد تكون النوايا الكامنة وراء استخدام هذا الجهاز نوايا خبيثةً وفساداً مثل إشباع الشهوات الطاغية والغرائز الحيوانية. ولكن توجد نوايا وأهداف سامية وراقية ومنطقية وراء استخدام الذكاء الاصطناعي؛ إذ يمكن تأطيره بأطر أخلاقية وعقلية وقانونية، وهذا النوع من الاستخدام السليم للذكاء الاصطناعي لا يعرقل أمام الرقيّ الروحي، بل ينمّيه ويكمله. فالاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي إذا أوجب الابتعاد عن الكمال الحقيقي، وهو التقرب إلى الله تعالى من خلال الاستخدام السيّء فهو يعرقل رقيّ الإنسان؛ فيجب على الجهات والمؤسسات المعنية بالذكاء الاصطناعي أن تضع أطراً وضوابط قانونية ملزمة لرقابة استخدامه.

رابعاً: مشكلة ثقل عبء المعلومات والمعطيات على أذهاننا

ثمة مشكلة أخرى في حياتنا وهي أنّ الإنسان يحمل معلوماتٍ زائدة غير ضرورية (ثقل عبء المعلومات والمعطيات على أذهاننا)، وهذا يسبّب زوال قدرة التركيز والتكريس وتشتت الحواس، وبالنتيجة يؤدي إلى الشعور بعدم الهدوء والطمأنينة والاستقرار في حياتنا، ويوجب الاضطراب والتوتر النفسي والقلق، هذا الوله والنهمة للاطلاع على معلومات زائدة يؤدي إلى الإدمان على استخدام الذكاء الاصطناعي، وهذا الذهن الذي تعود على الاستخدام المفرط للذكاء الاصطناعي ألا يبتعد عن الله تعالى وعن هدف الخلقة؟

الجواب: كلّ إنسان يريد أن ينمي نفسه تنميةً عقليةً ونفسيةً وفكريةً يجب أن يلتزم بأطر وقيود وإلزامات في استخدام الذكاء الاصطناعي، ويجب أن لا يودع في نفسه وذهنه ما يمنعه من التطوّر الفكري والعقلي؛ فلذا ورد عن الإمام الحسن عليه السلام: «عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَا كُؤِلِهِ كَيْفَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ فَيُجَنَّبُ بَطْنَهُ مَا يُؤْذِيهِ وَيُودِعُ صَدْرَهُ مَا يُرْدِيهِ» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 218].

خامساً: الذكاء الاصطناعي إله يُعبَد!

يعدّ الذكاء الاصطناعي في الغرب إلهًا، وأول كنيسة للذكاء الاصطناعي أسسها أنطوني ليفاندوفسكي (Anthony Lefandowski)، مهندس تصميم لسيارات جوجل وأوبر ذاتية القيادة، وأسمها "كنيسة طريق المستقبل"، وذلك في عام 2017. ولا يخفى أنّ تقنية الذكاء الاصطناعي تتطوّر يوماً بعد يوم، وتظهر منه آثار مدهشة وغريبة جدًّا، وهذا ما يجعل الإنسان

الضعيف يتّخذها إلهًا ومعبودًا يقدر على تلبية كلّ متطلّباته في أسرع وقت ممكن وبدقّة فائقة. فهناك بعض المنبهرين بالطاقات والقدرات الفائقة للذكاء الاصطناعي كادوا أن يعبدوه ويخضعوا له! بعبارة أخرى هل الذكاء الاصطناعي يدعم قضية الإلحاد واللاينية؟ وكيف نعالج هذه الإشكالية؟ إذا أنشأ الإنسان الذكاء الاصطناعي القويّ، فهل سيتمّ تحديّ فكرة الخلق؟

ترجع هذه الإشكالية إلى ضعف المبادئ العقلية والأسس الفلسفية لدى الأفراد؛ فكثير من بسطاء الفكر والعقل ينظرون إلى الوظائف والمهامّ التي يقوم بها الذكاء الاصطناعي وعندهم رؤية براغماتية إليه ويغفلون عن عدّة أمور:

1- أنّ الذكاء الاصطناعي مخلوق ومصنوع بشريّ ويحتاج إلى الموجد والفاعل.

2- أنّ الذكاء الاصطناعي حقيقته قائمة على محاكاة العقل البشري ومحاكاة الشبكة العصبية والماغية للإنسان، فهو ليس بمبدع، بل هو استنساخ ونمذجة للعقل البشري وطاقاته وقدراته الفائقة، فالسؤال المطروح هنا: من الذي خلق الإنسان وما يتمتع به من القدرات والطاقات الإدراكية والسلوكية؟ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور:35]. فالله تعالى هو خالق كلّ شيء وهو مفيض الوجود لكلّ مخلوق.

سادسًا: أداة الذكاء الاصطناعي (حاسبة الموت) يمكنها التنبؤ بموعد وفاتك!

طوّر باحثون في الدنمارك أداة ذكاء اصطناعي (life2vec) أطلقوا عليها اسم "حاسبة الموت"، يُمكنها التنبؤ بمجموعة واسعة من أحداث الحياة الصحية أو الاجتماعية، ويعتقدون أنّ الذكاء الاصطناعي إطار عامّ للغاية للتنبؤ بحياة البشر، ويمكنه التنبؤ بأيّ شيء؛ إذ تتوفّر لديك بيانات تدريبية. وتستخدم الأداة خوارزمية عمليةً مشابهةً لتلك التي تستخدمها (ChatGPT)، لكنّها بدلاً من ذلك تقوم بتحليل المتغيّرات التي تؤثر على الحياة مثل الولادة أو التعليم أو المزاي الاجتماعية أو حتى جداول العمل، ويحاول الفريق تكييف الابتكارات التي مكّنت خوارزميات معالجة اللغة من فحص تطوّر الحياة البشرية وإمكانية التنبؤ بها بناءً على تسلسلات الأحداث التفصيلية.

إذن الذكاء الاصطناعي من خلال تحليل البيانات والمتغيّرات المؤثرة على الحياة يقدر على التنبؤ بموعد وفاة الإنسان ومفارقته للحياة الدنيوية. فيقدر الذكاء الاصطناعي على التنبؤ بنتائج الحياة حتّى النفس الأخير؛ إذ إنّ من خلال التجارب عندما تعلق الأمر بالتنبؤ بالوفاة، كانت الخوارزمية صحيحةً في 78% من الحالات.

الجواب: لا يخفى أنّ الموت رهين بأسباب مادية ظاهرية، وكذلك رهين بأسباب غيبية ميتافيزيقية، ولكلا السببين دور وتأثير في موت الإنسان، ولكن أقصى ما يدركه الذكاء الاصطناعي هو اكتشاف الأسباب والعوامل المادية الفيزيائية، ولكنّه لا يقدر على كشف أسباب ميتافيزيقية غيبية مؤثرة في إزهاق روح الإنسان وموته. فالتنبؤ بموعد الموت خارج عن القدرات البشرية، بل أمرٌ غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، كما يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: 34].

سابعاً: إمامة الذكاء الاصطناعي وريادته للبشر!

هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون إماماً ورائداً للبشر؟ هل يُعدّ تطوّر الذكاء الاصطناعي تحدياً أمام الخلافة الإلهية ومسألة الإمامة والإنسان الكامل؟ وهل يمكن إحلال الذكاء الاصطناعي محلّ الإمام بحيث يغنينا عن المعصومين عليهم السلام؟

فمن أدرك حقيقة الذكاء الاصطناعي وماهيته والفروق الأساسية بينه وبين الذكاء الطبيعي يعرف جيّداً الحدود والقيود السائدة على الذكاء الاصطناعي، ويقرّ بأنّه غير مستأهل وغير صالح للخلافة الإلهية والريادة والقيادة؛ إذ الإنسان موجود معقّد ذو أبعاد وجودية عديدة لم يتمكن البشر اليوم من معرفتها بشكل عميق، فكيف بمصنوع بشري وهو حماد فاقد للروح والنفس يقود الإنسان ويؤمّه؟! على أنّ الذكاء الاصطناعي ليس بمصون من الأخطاء والزلات والهفوات كما يعترف بذلك مخترعه. وكذلك يتمتّع خليفة الله تعالى بمواصفات علمية وعملية مميزة يفتقدها الذكاء الاصطناعي.

ثامناً: الذكاء الاصطناعي ومعنائية الحياة

من جملة المسائل المطروحة في إلهيات الذكاء الاصطناعي مسألة "معنى الحياة"؛ فإن الإنسان الذي يعيش في مناخ الفضاء الافتراضي قد فقد معنى حياته ومغزاها؛ فهل يُعدّ فقدان معنى الحياة من تحديات الذكاء الاصطناعي؟ وكيف نعالج هذه المشكلة؟

لا يخفى أنّ الذي يُنقذ الإنسان من هذه الإشكاليات هو التمتع برؤية كونية توحيدية، وأنّ العالم متكوّن من الغيب والشهود، وأنّ الله تعالى هو المبدأ والمنتهى للكون والوجود، فمن عرف ذلك وعلم أنّ الذكاء الاصطناعي آلة ووسيلة لتسهيل حياة البشر، ويعرف حدّ هذه التقنية ومقدارها فهو لا يفقد معنائية الحياة، ويعرف الغرض والغاية منها وهو التقرب إلى الله تعالى.

تاسعاً: تحدي القيم الأخلاقية

من المسائل المطروحة في مجال إلهيات الذكاء الاصطناعي هو أنه: هل يُعدّ الذكاء الاصطناعي تحدياً أمام الأخلاق والقيم الأخلاقية؟ ما هي الأضرار الأخلاقية التي يسببها استخدام الذكاء الاصطناعي وكيف يمكن رفعها؟ على سبيل المثال من الناحية الأخلاقية، يمكن أن يفرض الذكاء الاصطناعي معايير جديدة ويسبب الصراعات والمنافسات، والقسوة وإثارة الشهوات والشبهات وهذا ما يهدد القيم الأخلاقية للبشر.

والجواب أنه لا يخفى أن الذكاء الاصطناعي آلة وأداة ذات وجهين: يمكن استخدامها لترسيخ القيم الأخلاقية وترويجها، ويمكن استعمالها لتدمير القيم الأخلاقية وإضعافها. المهم ماذا ينوي المستخدم لهذه التقنية؟ وأي بيانات يعطي للذكاء الاصطناعي؟ وكيف يديره ويدبره؟ فالذي يلعب الدور الأساسي هو الإنسان المستخدم لهذه الآلة، هل هو إنسان ملتزم بالقيم الأخلاقية ويمتلك نوايا صادقةً وسليمةً أم لا؟

عاشراً: النسبة بين الذكاء الاصطناعي وازدياد الشرور

هل يؤدي تطور الذكاء الاصطناعي وتقدمه سبباً لازدياد الشرور في العالم؟ أم يوجب ازدياد الخيرات فيه؟ وهذه من المسائل المهمة المتعلقة بلاهوت الذكاء الاصطناعي.

لا يخفى أن من أنواع الشرور ما يناسب بالذكاء الاصطناعي بنحو ما وهو الشرور الأخلاقية، وإن كان يوجب الشرور والكوارث الطبيعية أيضاً. وقد أجبنا على هذه الإشكالية في المورد السابق وقلنا إن ازدياد الشرور والخيرات في العالم رهين بعدة أسباب منها: الإنسان المستخدم أو الجهة المستخدمة لهذه التقنية هل يتمتع بمؤهلات وصلاحيات أخلاقية وإنسانية أم لا؟ وثانياً: البيانات التي تُعطى للذكاء الاصطناعي هل هي بيانات سليمة صحيحة أم هي فاسدة باطلة؟

الجواب على هذين السؤالين هو الذي يحدّد الإجابة على إشكالية ازدياد الشرور في العالم.

أحد عشر: السيادة السياسية للذكاء الاصطناعي

هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتسلّم مقاليد الأمور في إدارة المجتمع والتحكم بالحياة الاجتماعية للناس ويدبر معيشة الناس ويحظّط لعيشة رغيدة مليئة بالنعم والتمتعات والثروات؟ هل يمكن استبدال الذكاء الاصطناعي بالحكام والمدراء وولاة الأمر؟

الجواب أنّ الذكاء الاصطناعي وسيلة وآلة بيد البشر، ولا يخفى أنّ الاستخدام السليم له يلعب دورًا مهمًّا في تطوير الحياة البشرية وتقدّمها وتحسّنها. وقد تطرّقنا إلى شروط الاستخدام الصحيح والسليم لهذه التقنية فيما سبق.

الخاتمة

ينقسم هذا البحث إلى قسمين أساسيين:

أ- المسائل المتعلقة بفلسفة الذكاء الاصطناعي. ب- المسائل المرتبطة بلاهوت الذكاء الاصطناعي. من المسائل المهمة للقسم الأول معنى الذكاء (intelligence) وحقيقته.

فيرى آلان ماتيسون تورنغ (Alan Mathison Turing) أنّ أفضل معيارٍ لاعتبار آليّة ما ذكيّةً هو أن تتمكن تلك الآلة (Machine) من خداع إنسانٍ عبر إحدى وسائل التواصل وثقنعه بأنّه يتعامل مع إنسان مثله، فيستحقّ الحاسوب أن يسمّى ذكيًّا إذا كان قادرًا على خداع الإنسان ليصدّق بأنّه إنسان.

ومن خلال تعريف الذكاء عرفنا الذكاء الاصطناعي بأنّه الآلة (Machine) التي تؤدّي المهامّ والوظائف التي يقوم بها الإنسان بذكائه وذهنه وعقله. وبعبارة أخرى الذكاء الاصطناعي سلوك وخصائص معيّنة تتسم بها البرامج الحاسوبية، تجعلها تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها، ويمكن تصنيف الذكاء الاصطناعي ضمن ثلاثة مستويات:

الذكاء الاصطناعي الضعيف، والذكاء الاصطناعي المتوسّط، والذكاء الاصطناعي القويّ، ولكل واحد منها مواصفات ومهامّ يقوم بها. من جهة أخرى هناك اتجاهان رئيسيان في إبداع الذكاء الاصطناعي:

أ- الذكاء الاصطناعي الرمزي المبني على الخوارزميات والعمليات الحسابية الرمزية وبنيات التعلّم والاستدلال (computationalism).

ب- الاتّصالية أو التشابكية (connectionism) أو الذكاء الاصطناعي المتّصل المبني على محاكاة البنية الدماغية والشبكات الأعصاب البشرية.

من الناحية الفلسفية لقد اعتمد الذكاء الاصطناعي على النزعة الوظيفية (Functionalism) في فلسفة العقل وتأثر به أشدّ التأثر.

هناك ميزات جوهرية بين الذكاء الصطناعي والذكاء الطبيعي وهي القصدية (intentionality)، وخصلة الإبداع (creativity)، والوعي الذاتي واكتشاف الذات، والتركيز على نشاط معيّن، والتطوّر المتأصّل والتكامل الطبيعي للذكاء الاصطناعي. ويتمتع الذكاء الطبيعي بالقوّة النزوعية الشوقية، والاتّصاف بالفضائل والردائل الأخلاقية.

وأما من المنطلق اللاهوتي تشار تساؤلات ومشكلات عديدة أمام المتدينين من قبيل: هل الذكاء الاصطناعي أشرف المخلوقات؟ هل يسبب استخدام الذكاء الاصطناعي ضعف الاعتماد على العقول؟ وهل يُعدّ الذكاء الاصطناعي عرقلةً أمام الرقيّ الروحي والكمال النفسي؟ كيف نحلّ مشكلة ثقل عبء المعلومات والمعطيات على أذهاننا في عصر الذكاء الاصطناعي؟ هل يمكن عدّ الذكاء الاصطناعي إلهًا يُعبَد؟! هل تقدر أداة الذكاء الاصطناعي على التنبؤ بموعد وفاة الإنسان؟

هل يفقد الإنسان معنائية الحياة في عصر الذكاء الاصطناعي؟ وهل يُعدّ تطوّر الذكاء الإنساني تحديًا للقيم الأخلاقية؟ وغيرها من التساؤلات المتعلقة بلاهوت الذكاء الاصطناعي، وقد أجبنا عليها في هذه المقالة، وقلنا إنّ كيفية الاستخدام لهذه التقنية المتطورة وكذلك النوايا الكامنة وراء استخدامها والبيانات التي تُعطى لها تلعب كلّها دورًا مهمًا في الإجابة على هذه التساؤلات والإشكاليات.

قائمة المصادر

- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، نشر البلاغة، قم، الطبعة الأولى، 1417هـ.
- ابن سينا، الحسين، الشفاء (الطبيعيات)، تحقيق سعيد زايد، مكتبة آية الله المرعشي، قم، 1404هـ.
- ابن سينا، حسين، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، دانشگاه تهران، 1379ش.
- الشيرازي، صدر الدين، مجموعة رسائل فلسفية، تحقيق حامد ناجي الأصفهاني، منشورات الحكمة، طهران، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390ش.
- المجلسي، محمداقربن محمدتقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
- ايزدي، محسن، فلسفه معاصر غرب (فلسفه ذهن)، نشر معارف، قم، 1394ش.
- جون سيرل، العقل، ترجمة: ميشال حنا متياس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007م.
- جون سيرل، القصديّة بحث في فلسفة العقل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
- راندل، بيد، هايول، لوييس، ذهن و آگاهی، ترجمه فروغ كيانزاده، پارسيك، تهران، 1398ش.
- چرچلند، پاول، ماده و آگاهی، ترجمه امير غلامی، انتشارات مركز، تهران، چاپ سوم، 1400ش.
- كاکو، میچیو، آيندهی ذهن، ترجمه محمداسماعيل فلزی، ققنوس، تهران، 1400 ش.
- کورزوئیل، ری، عصر ماشین های معنوی، ترجمه سیمین موحد، تهران، نشر پیکان، 1380ش.

Boden, Margaret, The Philosophy of Artificial Intelligency, Oxford University Press, 1990.

Ertel, Wolfgang, Introduction to Artificial Intelligence, University of Oxford, Oxford, UK, Springer International Publishing. 2017.

Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica Verlag, London, 2010.

Searl, John, Mind a brief introduction, Oxford New York. 2004.

Neapolitan, Richard E., Artificial Intelligence With an Introduction to Machine Learning, CRC Press Taylor & Francis Group, 2018.

Flasiński, Mariusz, Introduction to Artificial Intelligence, Springer International Publishing Switzerland, 2016.

Michael W. Eysenck and Christine Eysenck, AI vs Humans, Routledge. 2022.

Crevier, Daniel, AI The Tumultuous History of the search for Artificial Intelligence, BascBooks A Division of Harper Collins Publishers, 1993.

Wolfgang Ertel, Introduction to Artificial Intelligence, 2nd edition: © Springer International Publishing AG 2017.

Maslin, K. T An Introduction to the Philosophy of Mind, Cambridge, Polity Press, 2007.